

تدبر سورة الكهف
تأليف
د/ عقيل بن سالم الشمري
الأستاذ المساعد للقرآن وعلومه بجامعة المجمعة
الطبري
معهد الإمام الطبري
لعلوم القرآن وآدابه


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي الكتاب ...

إلى والدي الكريمين ...

أكرمهما اللّه الكريم ...

بالأجر والنعيم ...



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد :

فإن الله أنعم علينا بالقرآن للقراءة والتدبر، وجعله كتابًا مباركًا هدى للناس جميعًا، ولا تزال البشرية أحوج ما تكون لمعرفة ربها وكلامه، وهذا من مهام الأمة المحمدية المباركة في إيصال رسالة الدين وتعليم الناس كلام ربهم، ونحن مأمورون بتدبر القرآن والتفكر فيه، وكل خلل دخل علينا في ديننا ودنيانا إنما هو لقصورنا في باب تدبر القرآن والعمل به .

وإن من السور التي لابد أن تحظى بمزيد تدبر وإعمال للفكر سورة الكهف لاعتبارات عدة منها :

١) ما جاء في فضل فواتحها من طريق أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**»، وفي لفظ: «**من آخر الكهف**»[(١)]، ورجح ابن القيم أن المحفوظ هو أول السورة دون آخرها[(٢)] .

٢) ما جاء عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رجل سورة الكهف، وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته، فذكر ذلك للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت للقرآن**»[(٣)]، وهذا لا يفيد خصوص سورة الكهف بنزول السكينة ؛ إذ السكينة تتنزل عند قراءة القرآن عامة .

٣) ما جاء عن بعض السلف في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة[(٤)] .

٤) أهمية تدبر الآيات واستنباط الفوائد منها ليُحتَذى حذوها في سورة أخرى .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٠٩)

(٢) انظر : جلاء الأفهام، ص٣٢٥

(٣) متفق عليه ؛ أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٦١٤) ومسلم برقم (٧٩٥)

(٤) سيأتيها تخريجها قريبًا

وقد سلكت في هذا الكتاب ما يلي :

١) مقدمة حول ما ورد في فضل سورة الكهف وقراءتها يوم الجمعة.

٢) تفسير الآية؛ وغالباً يكون الاعتماد على التفسير الميسر.

٣) ذكر تدبرات الآية الكريمة مما ذكره أهل العلم، وغالبها مما فتحه الله على كاتبه.

ولعلي بذلك ألفت انتباه أذهان أهل العلم للتأليف في تدبر السورة التي ورد في الشريعة قراءتها، وجمع تدبرات أهل العلم، والإضافة عليها مما يدخل في منهجهم في التدبر .

وإنني أشكر معهد الإمام الطبري لعلوم القرآن وآدابه وجمعية تحفيظ القرآن الكريم بمحافظة حفر الباطن على دعمهم الكتاب وتشجيعهم له ومتابعته حتى صدوره.

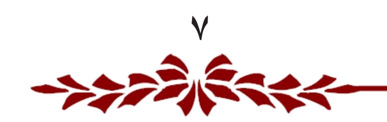
وإني أسأل الله أن يهديني ويوفقني، وأن يرزقني العلم والعمل بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وأن يجعل أعمالي في ميزاني ووالدي، فإن الولد من كسب أبيه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

كتبه

د.عقيل بن سالم الشمري

الأستاذ المساعد للقرآن وعلومه بجامعة المجمعة

كلية التربية بالزلفي



فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة[١]

ورد في ذلك عدة أحاديث ؛ وسأقتصر على بيان أهمها وأكثرها انتشاراً وهي :

الحديث الأول: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومداره على أبي هاشم الرماني، عن أبي مِجْلَز، عن قيس ابن عباد، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد وقع فيه على أبي هاشم اختلاف في إسناده ومتنه على النحو التالي:

١) **الاختلاف في إسناده**: روي عن أبي هاشم موقوفًا ومرفوعًا .

٢) **اختلاف في متنه**: حيث روي مطولاً ومختصراً بألفاظ متعددة .

وقد رواه عن أبي هاشم ستة من تلاميذه، وطرقهم كالتالي:

الطريق الأول: هشيم بن بشير :

أخرجه: أبو عبيد القاسم بن سلام[٢]، ومن طريقه الذهبي[٣]، والدارمي[٤] عن أبي النعمان محمد بين الفضل السدوسي.

وابن الضريس[٥]، ومن طريقه الخطيب البغدادي[٦] عن أحمد بن خلف البغدادي .

والبيهقي[٧] من طريق سعيد بن منصور.

---

(١) اختصرتها من كتاب (الأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة) لفضيلة الشيخ عبد الله بن فوزان الفوزان، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ، وقد ذكر عشرة أحاديث وثلاثة آثار ؛ لكنني اقتصرت على أهمها في نظري .

(٢) انظر: فضائل القرآن، ص٢٤٤ .

(٣) انظر: تاريخ الإسلام ٧/ ٦٩٣ .

(٤) انظر: سنن الدارمي ٤/ ٢١٤٣ .

(٥) انظر: فضائل القرآن، ص٩٩ .

(٦) انظر: تاريخ بغداد ٤/ ١٣٤ .

(٧) انظر: انظر: شعب الإيمان ٢/ ٤٧٧٤

أربعتهم: (أبو عبيد، وأبو النعمان، وابن خلف، وسعيد) عن هشيم عن أبي هاشم به موقوفًا بلفظ: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق»، وهذا لفظ أبي عبيد، والبقية نحوه، عدا محمد بن الفضل ففي روايته: «ليلة الجمعة».

وأخرجه: الحاكم(١) وعنه البيهقي(٢) من طريق نعيم بن حماد .

- والبيهقي(٣) من طريق يزيد بن مخلد بن يزيد.

- والدارقطني(٤) معلقًا من طريق الحكم بن موسى . ثلاثتهم: (نعيم، ويزيد، والحكم) عن هشيم، عن أبي هاشم به مرفوعًا، بلفظ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق». وهذا لفظ يزيد، ولفظ نعيم: «أضاء له من النور ما بين الجمعتين» .

قال الحاكم عن طريق نعيم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «نعيم ذو مناكير .

فالخلاصة أن الاختلاف في رواية هشيم وقع في السند والمتن .

فأما الاختلاف في السند:

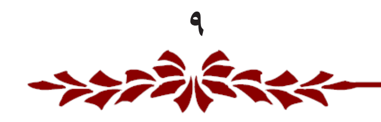
فقد رجح جمعٌ من الحفاظ رواية الوقف ومنهم:

أ - الدارقطني: فقال: «ووقفه غيره عن هشيم، وهو الصواب»(٥).

ب - البيهقي: فقال: «هذا هو المحفوظ موقوف»(٦).

ج -ابن القيم: حيث قال: «وذكره سعيد بن منصور من قول أبي سعيد الخدري، وهو أشبه»(٧).

(١) انظر: المستدرك ٢/ ٣٦٨
(٢) انظر: السنن الكبرى ٣/ ٢٤٩
(٣) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٤٧٥
(٤) انظر: العلل ١١/ ٣٠٨
(٥) انظر: العلل ١١/ ٣٠٨
(٦) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٤٧٤
(٧) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٣٧٦



وأما الاختلاف في المتن:

فقد وقع في جزأين من الحديث:

أ - **يوم الجمعة**: فقد رواه جمهور أصحاب هشيم عنه بلفظ: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق» أو بنحوه، إلا محمد بن الفضل السدوسي ففي روايته: «ليلة الجمعة» بدل: يوم الجمعة، ولعل ذلك من أوهام محمد بن الفضل فإنه قد تغير في آخر حياته، وقد خالف الأكثر والأحفظ.

ب ـ أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق:

فقد رواه الجمهور من أصحاب هشيم بهذا اللفظ أو بمعناه إلا نعيم بن حماد فقد رواه بلفظ: «أضاء له من النور ما بين الجمعتين»، وهذا لعله من مناكير نعيم فقد خالف الأكثر والأحفظ .

الطريق الثاني: سفيان الثوري :

أخرجه: عبد الرزاق[١] ومن طريقه الطبراني[٢].

وابن أبي شيبة[٣]، ونعيم بن حماد[٤] عن وكيع بن الجراح.

ونعيم بن حماد[٥]، والنسائي في الكبرى[٦] من طريق عبد الرحمن بن مهدي.

والبيهقي[٧] من طريق قبيصة بن عقبة.

أربعتهم: (عبد الرزاق، ووكيع، وابن مهدي، وقبيصة) عن سفيان، عن أبي هاشم به موقوفًا، بلفظ: «من توضأ، ثم فرغ من وضوئه، ثم قال: سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك، ختم عليها بخاتم فوضعت تحت العرش، فلا تكسر إلى يوم

(١) انظر: المصنف ١/ ١٨٦

(٢) انظر: الدعاء ١/ ١٤١

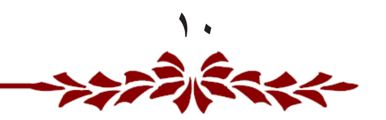
(٣) انظر: المصنف ١/ ٣

(٤) انظر: انظر: المصنف ١/ ٣

(٥) انظر: الفتن ٢/ ٥٦٤

(٦) انظر: سنن النسائي ٩/ ٣٤٨

(٧) انظر: شعب الإيمان ٢/ ١١٢



القيامة، ومن قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه، ولم يكن له عليه سبيل، ومن قرأ خاتمة سورة الكهف أضاء نوره من حيث قرأها ما بينه وبين مكة» وهذا لفظ عبد الرزاق.

وأما وكيع فذكر في رواية ابن أبي شيبة لفظ الوضوء، وفي رواية نعيم بن حماد قراءة الكهف ولفظه: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت أضاء له ما بينه وبين مكة، ومن قرأ آخرها ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه».

وأما ابن مهدي فذكر لفظ السورة: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه، ولم يكن له عليه سبيل، ومن قرأ سورة الكهف كان له نوراً من حيث قرأها ما بينه وبين مكة».

وأما قبيصة فلفظه: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فأدرك الدجال لم يسلط عليه أو قال: لم يضره، ومن قرأ خاتمة سورة الكهف أضاء الله نوراً من حيث كان بينه وبين مكة»، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه .

الطريق الثالث: طريق شعبة بن الحجاج

أخرجه: النسائي[١] من طريق غندر محمد بن جعفر.

والطبراني[٢] من طريق عمر بن مرزوق.

والبيهقي[٣] معلقاً من طريق معاذ بن معاذ.

ثلاثتهم: (غندر، وعمرو، ومعاذ) عن شعبة، عن أبي هاشم به موقوفاً، ولفظه: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً من حيث يقرؤها إلى مكة، ومن قرأ آخر الكهف فخرج الدجال لم يسلط عليه» وهذا لفظ غندر، والبقية نحوه.

(١) انظر: سنن النسائي ٩/ ٣٤٨
(٢) انظر: الدعاء ١/ ١٤٠
(٣) انظر: شعب الإيمان ٣/ ٢١



وأخرجه: النسائي[١] والطبراني[٢] من طريق يحيى بن كثير.

والبيهقي[٣] من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث.

والدارقطني[٤] معلقا من طريق ربيع بن يحيي.

ثلاثتهم: (يحيي، وعبد الصمد، وربيع) عن شعبة، عن أبي هاشم به مرفوعا، بلفظ: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه، ومن توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كتب في رق ثم جعلت في طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة»، وقال الحاكم عن طريق يحيى: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقد صوب الأئمة رواية الوقف على الرفع.

فقد قال النسائي عن الرفع: «هذا خطأ، والصواب موقوف»[٥]، وقال الطبراني: «رفعه يحيى بن كثير عن شعبة، ووقفه الناس»[٦].

وواضح أن ترجيح من رجحه إنما هو باعتبار أن من روى الوقف أحفظ وأقوى ممن رفعه

الطريق الرابع: سفيان عن أبي هاشم، وقد اختلف عليه أيضاً سنداً ومتناً على النحو التالي:

أما السند: فرواه أكثر أصحاب سفيان عنه موقوفًا على أبي سعيد، وأما اللفظ:

فرواه أصحاب سفيان بلفظ: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه، ولم يكن له عليه سبيل، ومن قرأ خاتمة سورة الكهف أضاء نوره من حيث قرأها ما بينه وبين مكة» أو بنحوه.

---

(١) انظر: سنن النسائي ٩/ ٣٤٨
(٢) انظر: المعجم الأوسط ٢/ ٢٧١
(٣) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٢١
(٤) انظر: العلل ١١/ ٣٠٨
(٥) انظر: السنن الكبرى ٩/ ٣٤٨
(٦) انظر: الدعاء ١٤١

إلا قبيصة بن عقبة فقد تفرد عن بقية أصحابه بذكر يوم الجمعة، فرواه عنه بلفظ: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فأدرك الدجال لم يسلط عليه، ومن قرأ خاتمة سورة الكهف أضاء الله نورا من حيث كان بينه وبين مكة»، وقبيصة قال عنه أحمد في روايته عن سفيان: «كان كثير الغلط»[١].

الحديث الثاني: حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أخرجه: ابن مردوية[٢] ومن طريقه الضياء في المختارة[٣] من طريق محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق.

- وأخرجه: أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري[٤] ومن طريقه الضياء المقدسي.

كلاهما (محمد، وأبو الفضل) عن إبراهيم بن عبد الله بن أيوب المخرمي، ثنا سعيد بن محمد الجرمي، ثنا عبد الله بن مصعب بن منظور بن زيد بن خالد، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون، وإن خرج الدجال عصم منه».

وهذا الحديث مداره على عبد الله بن مصعب الجهني وهو مجهول كما قاله ابن عساكر[٥]، وقال عبد الحق الإشبيلي: سنده مجهول[٦].

الحديث الثالث: حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أخرجه: ابن مردويه[٧] عن محمد بن علي بن يزيد بن سنان، عن إسحاق بن إبراهيم المنجنيقي، عن إسماعيل بن خالد المقدسي، عن محمد بن خالد البصري، عن خالد بن

(١) انظر: تاريخ بغداد ١٢/ ٤٧٤
(٢) انظر: ذكره ابن كثير ٩/ ١٠٠
(٣) انظر: الأحاديث المختارة ٢/ ٥٠
(٤) انظر: جزء حديث أبي الفضل الزهري ١/ ١٧٣
(٥) انظر: ذيل الميزان ٤٢٢
(٦) انظر: تخريج الإحياء ١/ ٤٤٧
(٧) انظر: عزاه إليه ابن كثير ٩/ ١٠٠



سعيد بن أبي مريم، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضيء يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين».

وقال ابن كثير: «وروى الحافظ أبو بكر ابن مردويه بإسناد غريب» ثم قال: «وهذا الحديث في رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف»[(١)].

وقد ضعف الحديث النووي في المجموع[(٢)].

الحديث الرابع: حديث إسماعيل بن رافع

أخرجه: ابن الضريس في فضائل القرآن[(٣)] عن يزيد بن عبد العزيز الطيالسي، عن إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن رافع قال: بلغنا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: « ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض، شيعها سبعون ألف ملك؟ سورة الكهف، من قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وزاده ثلاثة أيام من بعدها، وأعطي نوراً يبلغ إلى السماء، ووقي من فتنة الدجال، ومن قرأ الخمس آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه حفظ وبعث من أي الليل شاء».

وهذا الحديث يرويه إسماعيل بن عياش الحمصي عن إسماعيل بن رافع، وهو من غير بلده، ورواية ابن عياش عن غير أهل بلده منكرة[(٤)].

والخلاصة:

أنه لا يثبت في ذلك شيء مرفوع عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومع هذا فلا خلاف بين أهل العلم بالقول بمشروعية قراءتها يوم الجمعة[(٥)]، ونحن إذا جمعنا صحة ما ورد عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٩/ ١٠٠
(٢) انظر: المجموع ٤/ ٤٢٢
(٣) انظر: فضائل القرآن ٢٠٣
(٤) انظر: تهذيب الكمال ٣/ ١٦٣
(٥) انظر: الموسوعة الكويتية ٤٥/ ٣٠٦



في قراءة أولها أو آخرها وأنه عصمة من الدجال، ثم جمعنا إليه أَمْرُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أدرك منا الدجال بأن يقرأ عليه العشر من سورة الكهف، ثم جمعنا إليه صحة ما ورد عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم جمعنا إليه تتابع الأئمة الأربعة على القول بمشروعيتها، ثم جمعنا إليه عمل الأمة عبر القرون، نخلص من هذا كله بأن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة له مستند من أصل، خاصة وأن فضائل الأعمال يتخفف فيها أكثر من الأحكام، وهذا مخرجٌ قارئها عن البدعة المذموم فاعلها، وأقوى مستند لذلك هو قول أبي سعيد الخدري بأن من قراءها كان له نور، ولفظ الجمعة إن كان غير ثابت في الأثر فإن الأسبوع هو أصغر دورة للعمر، فمن حفظ أسبوعه من المعاصي أعانه الله على حفظ شهره، ومن أراد نور عمره فلينور أسبوعه بالطاعات وقراءة القرآن، ولا يستبعد أنه لما كان للجمعة من الفضائل والمميزات والاعتبار بتفضيل الله لها جعل أبو سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا النور في يوم الجمعة، فكيف يقال ببدعية هذا الفعل؟! .





بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الكهف

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف: ١].

أي: يثني الله على نفسه بأنه أنزل القرآن العظيم على نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يجعله معوجاً زائغاً مائلاً عن الحق.

وفي الآية الفوائد التالية:

١) فيها ثناء الله على نفسه لقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولم يثنِ أحدٌ على الله بمثل ما أثنى به هو على نفسه سبحانه.

٢) فيها أن نعمة إنزال القرآن من أجل النعم التي يُحمد الله لأجلها لما في إنزاله من الخير العظيم، ولهذا أتى بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ ليفيد تعليل الخبر، فالقرآن نعمة تستحق منَّا الحمد، فلا يختص ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على النعم الدنيوية دون الدينية.

٣) قوله: ﴿أَنزَلَ﴾ يدل على علو الله لأن الإنزال لا يكون إلا من علو.

٤) قوله: ﴿عَبْدِهِ﴾ تدل على شرف منزلة العبودية حيث اختارها الله وصفاً لنبيه.

٥) اتفق المفسرون على أن في الآية تقديماً وتأخيراً، فقد أخر المفعول به ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وقدم الجار والمجرور ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ وذلك لرفع منزلة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦) في الآية إطلاق الكتاب على بعض القرآن ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ إذ لم ينزل القرآن جميعه حين نزول السورة ومع هذا سمى ما نزل كتاباً.

٧) قوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ نفي العوج يشمل: الاعوجاج في ذاته وفي حاله؛ لأنه نكرة في سياق نفي، فالقرآن لا انحراف في ألفاظه ومعانيه ولا في أحكامه ودلالته، ويلزم من ذلك أن القرآن كله عدلٌ.

٨) نفي العوج عن الكتاب العزيز يدل على أن متبع القرآن بعيدٌ عن الاضطراب والتناقض والانحراف.



قال تعالى: ﴿قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢﴾ [الكهف: ٢].

أي: أنزل على عبده كتاباً معتدلاً مستقيماً لينذر الناس عذاب الله في الدنيا والآخرة، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات بأن لهم ثوابًا جزيلاً حسناً لا منغص له.

وفي الآية الفوائد التالية:

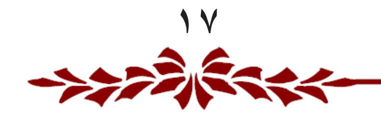
١) وصف القرآن بأنه ﴿قَيِّمٗا﴾ يشمل: استقامته في ذاته فليس في القرآن ميلٌ ولا زيغٌ، ويشمل قيامه على أمور الدنيا والدين لغيره، كما يشمل قيامه على الكتب قبله بكونه مصدقاً لها ومهيمناً عليها.

٢) الجمع بين قوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ وقوله: ﴿قَيِّمٗا﴾ مع أنهما يؤديان المعنى ذاته في الظاهر؛ لأن الشيء قد يكون مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر، أو لأن نفي العوج يدل على كونه كاملاً في ذاته، والوصف بالقيم يدل على كونه مكملاً لغيره.

٣) في الآية بيانٌ بليغ لوظيفة القرآن واختصار بديع وهي: النذارة والبشارة.

٤) قدمت النذارة على البشارة في الآية الكريمة لمناسبة الحال إذ أنهم كذبوا النبي ﷺ واتهموه في الوحي فناسب الحال تقديم الإنذار والتهديد.

٥) وصف البأس بأنه شديد ﴿بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾ وكونه من عند الله ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾ يفيد زيادة التهديد والوعيد وشدة العذاب.



٦) البأس الشديد يشمل البأس الدنيوي من قتلٍ وأسرٍ وغيره، والبأس الأخروي وهو العذاب الأليم.

٧) لم يذكر الله الذين ينذرهم الكتاب وذلك احتقاراً لشأنهم.

٨) في الآية دلالة على أن القرآن مبشر للمؤمنين لقوله: ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

٩) صيغة الفعل المضارع ﴿ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يفيد استمرارهم على الأعمال الصالحة، وهذا يربي المؤمن على الثبات على الطاعة.

٠١) قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فيه دلالة لمنهج أهل السنة والجماعة في كون الأعمال من الإيمان لكونه صلة الموصول.

١١) في حال الإنذار بالبأس الشديد قال الله: ﴿ مِّن لَّدُنْهُ ﴾ وهي لفظة تشعر بشدة التهديد، وفي حال البشارة للمؤمنين قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ ﴾ وهي لفظ مشعر بامتنان الله عليهم، فاختلف اللفظ لاختلاف المقامين.

٢١) وصف الأجر بأنه حسن يدل على أنه لا مُكدِر فيه ولا منغص أبداً.



قال تعالى: ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ ﴾ [الكهف: ٣].

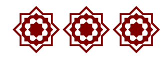
أي: خالدين في الجنة لا ينتقلون عنها ولا يُنقلون.

وفي الآية الفوائد التالية:

١) فيها خلود المؤمنين في الجنة لأن الْمُكث يفيد البقاء والدوام.

٢) الْمُكث يفيد البقاء ومع هذا أكدَّ نعيمهم بقوله: ﴿ أَبَدًا ﴾ ليؤكد لهم من أعظم منغص قد يطرأ وهو الخروج منها، فضمن لهم ذلك كرمـًا منه.

٣) الجار والمجرور ﴿ فِيهِ ﴾ يفيد انغماس أهل الجنة في النعيم فلا يَنْتَقِلون ولا يُنقلون عنه.





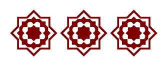
📖 **قال تعالى:** ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤﴾ [الكهف: ٤].

أي: أن القرآن ينذر من جعل لله ولداً من مشركي العرب واليهود والنصارى.

❁ وفي الآية الفوائد التالية:

١) أعاد لفظ الإنذار بعد ذكره أولاً لتخصيص هذه الفئة بمزيد إنذار لبشاعة قولهم إذ أنه من أقبح أنواع الكفر.

٢) في الآية بشاعة قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤﴾؛ لأن لفظ الاتخاذ مشعر بأن الله هو الذي اتخذ الولد تعالى الله عن ذلك، فما أحلم الله على أذى الناس.



📖 **قال تعالى:** ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾ [الكهف: ٥].

أي: ليس عند هؤلاء المشركين شيء من العلم على ما يَدَّعونه لله من اتخاذ الولد، كما لم يكن عند آبائهم الذين قلَّدوهم، عَظُمت هذه المقالة الشنيعة التي تخرج من أفواههم، ما يقولون إلا قولا كاذبًا.

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥

❁ وفي الآية الفوائد التالية:

١) نفي العلم عنهم يدل على أن قولهم لا شبهة فيه وإنما هو محض افتراء.

٢) ذكر آبائهم من باب التكبيت لهم وللدلالة على أن جهلهم موروثٌ منذ القدم، وأكدَّ التكبيت والاحتقار بإعادة النفي في قوله: ﴿وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡ﴾.

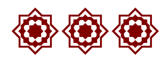


٣) قوله: ﴿كَبُرَتْ﴾ تدل على أن بعض الألفاظ أكبر من صاحبها، فليتنبه الإنسان للفظه.

٤) ذكر الأفواه في قوله: ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه إيماءٌ إلى أن كلامهم ليس له مصدرٌ من العلم والنظر وإنما مصدره أفواههم لأنه كذب محض.

٥) الآيات فيها بيان حلم الله، فالله يسمع الأذى والافتراء ثم يرزقهم.

٦) قدَّم الله استعظام كلامهم على تكذيبه؛ لبشاعة الفرية التي افتروها على الله، فقال: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ ثم بعدها قال: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.



قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦].

أي: فلعلك أيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهْلِكٌ نفسك غمًّا وحزنًا على أثر تولِّي قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدِّقوا بهذا القرآن ويعملوا به.

وفي الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ تدل على مقدار الجهد المبذول من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حرصه على هداية قومه حتى كاد يهلك نفسه من الهمِّ لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

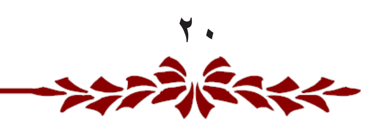
٢) ذِكرُ الآثار ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ يدل على إدبار قومه وإعراضهم عنه.

٣) في الآية رحمة الله بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نهاه عن شدة الأسى والحزن شفقة عليه.

٤) في الآية دلالةٌ على حزن الداعية وأسفه حين تُرَدُّ دعوته بحيث لا يصل للهلاك.

٥) في الآية الكريمة حثٌ للدعاة على استمرار الدعوة فالله نهى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إهلاك نفسه حزنـًا ولم ينهه عن الاستمرار.

٦) قوله: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ ثم قوله بعد ذلك: ﴿أَسَفًا﴾ دليل على أن من الحزن ما يهلك نفس صاحبه، ولهذا استعاذ منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف: ٧].

أي: إنَّا جعلنا ما على وجه الأرض من المخلوقات جَمالا لها، ومنفعة لأهلها؛ زائلة بزوالها؛ لنختبرهم: أيُّهم أحسن عملا بطاعتنا، وأيهم أسوأ عملا بالمعاصي.

وفي الآية الفوائد التالية:

١) في الآية بديع صنع الله الذي أتقن كل شيء فجعل كل ما على الأرض زينة لها.

٢) في الآية امتنان الله على خلقه بما خلقه لهم.

٣) يدل قوله: ﴿ زِينَةً ﴾ على زوال نعيم الدنيا وفنائه، وهذا من لوازم لفظ الزينة حيث أنها ليست من ذات الشيء وإنما خارجة عنه، وفي هذا تربية على الزهد.

٤) فيها دلالة على الدنيا دار ابتلاء لقوله: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾.

٥) قوله: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ اللام هي لام التعليل، وهي دليل لمنهج أهل السنة على أن الله حكيم يفعل لحكمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٦) فيها التأكيد على تفاوت الناس في الأعمال لقوله: ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.

٧) فيها حثٌّ على إحسان العمل وإتقانه لقوله: ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.



قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف: ٨].

أي: إنا لمخرّبوها بعد عمارتنا إياها بما جعلنا عليها من الزينة، فمصيروها صعيداً جرزاً لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس ولا حياة.

وفي الآية الفوائد التالية:

١) في الآية دلالة على فناء الدنيا وما عليها.

٢) إعادة قوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ ﴾ لبيان قدرته.



٣) الجمع بين الصعيد والْجُرز للدلالة على شدة فنائها ومحق الله لها.

٤) في الآية بيان قدرة الله العظيم على عمارة الدنيا وفنائها فسبحانه من إلهٍ قادر.



قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩].

أي: هل حسبت أن أصحاب الكهف الذين معهم كتبهم كانوا عجباً من بين آياتنا؟ بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب.

وفي الآية الفوائد التالية:

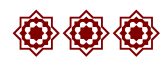
١) في الآية تقريعٌ وتوبيخٌ للكافرين؛ لأن الاستفهام في الآية إنكاري.

٢) الآية تدل على المنطقة المحيطة بأصحاب الكهف كانت جبليةً؛ لأن الكهف هو: هو الغار في الجبل.

٣) في الآية حثٌ على إعمال العقول والتفكر في آيات الله؛ لأن الله بيَّن أن أصحاب الكهف ليسوا من أعجب الآيات فهناك آيات أعجب منهم.

٤) فيها دلالة على تفاوت آيات الله من حيث الإعجاز فبعضها عجيب والبعض أعجب.

٥) يدل قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ على أن الإنسان إذا ظنَّ أمراً بناءاً على دليل عنده فلا يتوجه له اللوم ولو كان ظنه في غير محله، فقد ظن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن قصة أصحاب الكهف عجبًا، فبيّن الله له أنها ليس بأعجب الآيات.



قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١٠].

أي: حين لجأ الشبَّان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية من فتنة قومهم لهم قالوا: ربنا أعطنا مِن

عندك رحمة تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، ويسِّر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي تحب، فنكون راشدين غير ضالين.

❁ وفي الآية الفوائد التالية:

١) تدل الآية على أن أصحاب الكهف (مطاردون) و(مستضعفون)؛ لأن الإيواء لا يكون إلا مع الهروب، وتدل على (قوّة) عدوّهم و(شدّة) بطشه بادئ الأمر.

٢) مطاردة أهل الكهف دليل على ممارستهم الدعوة لدينهم، إذ لو كان أمرهم مجرد مخالفة لما استدعى الأمر مطاردتهم ومتابعتهم، ومع دعوتهم انتشر أمرهم وكثر مخالفهم وزاد مبغضهم حتى ارتفع أمرهم للملِك لهم، وهذا شأن أصحاب الدعوات.

٣) وصفهم بكونهم فتيةٌ يدل على أنهم شبابٌ متقاربي السن، ويؤخذ منه الإيماء إلى ما فيهم من اكتمال خُلُق الرجولة المعبر عنه بالفتوة الجامع ثبات الجأش والدفاع عن الحق.

٤) ويدل لفظ الفتية أيضـًا على أنهم: قلةٌ في العدد.

٥) في الآية المبادرة إلى الابتهال إلى الله بالدعاء بدلالة فاء التعقيب في قوله: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ وهذا يبين التوحيد الذي ملأ قلوبهم فلم يتعلقوا إلا بالله، فخلت قلوبهم إلا من الله تعالى.

٦) لفظ الربوبية في قولهم: ﴿رَبَّنَآ﴾ يناسب حالهم؛ فالخوف والذعر والاضطراب يناسبه الدعاء باسم الرب المستلزم ربوبيته لجميع عباده وحفظه لهم وقيامه بشؤونهم.

٧) ظهر الافتقار إلى الله في دعاء الفتية من عدة أوجه: قولهم: ﴿ءَاتِنَا﴾ والإيتاء محض فضلٍ من الله، وقولهم: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ فهم يطلبون رحمة من لدن ربهم، وتنكيرهم الرحمة في قولهم: ﴿رَحۡمَةً﴾ فكأنهم مفتقرون إلى أي رحمةٍ من رحمات الله.

٨) فيها طلب التيسير والوصول إلى الرشاد حتى مع صلاح العمل، فأهل الكهف مع تجريد توحيدهم طلبوا أن يهيئ الله لهم كل سبب موصل إلى الرشد.

٩) تدل الآية على أن الداعية مطالب بأن يسعى لتحصيل كل سبب رشيد لدعوته.



١٠) طلبهم الرشد يتضمن: (طلب الهداية) لأنها من معاني الرشد، و(الاستقامة) لأن الرَشَد يدل على استقامة الطريق، و(الثبات على الحق) لأن الرشد الاهتداء والديمومة عليه.

١١) فيها التناسب في ألفاظ الدعاء حيث أن أهل الكهف طلبوا الرحمة، وهي لا تتهيأ إلا بأسباب فناسب طلب الإعانة على تحصيل أسبابها.



قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الكهف: ١١].

أي: ضربنا على آذانهم وهم في الكهف حجابًا ثقيلاً مانعًا من السماع فألقينا عليهم النوم العميق سنين كثيرة.

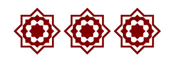
وفي الآية الفوائد التالية:

١) في الآية دلالة على عظيم قدرة الله حيث ضرب على آذانهم حجابًا يمنع نفاذ الأصوات إليها فناموا نومةً طويلة.

٢) تخصيص الأذن بالضرب ليشعر بأن عدم سماعهم الأصوات ليس لصمم في آذانهم وإنما عناية من ربهم وحفظًا.

٣) الآية تدل على سرعة استجابة الله لأوليائه وإيوائه لهم لأن الفاء في قوله: ﴿ فَضَرَبْنَا ﴾ تدل على التعقيب.

٤) قوله: ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ يدل على أن مدة لبثهم في كهفهم لم يكن فيها شهور ولا أيام، إنما هي سنوات كاملة.



قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف: ١٢].

أي: ثم أيقظناهم مِن نومهم؛ لنُظهر للناس ما علمناه في الأزل؛ فتتميَّز أي الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم أضبط في الإحصاء والحساب.



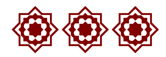
وفي الآية الفوائد التالية:

١) تدل على أن النوم موتةٌ صغرى لأن الله سمَّى إيقاظهم بعثًا لقوله: ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾.

٢) فيها حجةٌ على إثبات البعث فمن قدر على بعثهم بعد هذه السنوات الطويلة قادر على بعثتهم بعد موتهم.

٣) قوله: ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ١٢﴾ يدل على أن قوم أهل الكهف وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليبين لهم ذلك.

٤) قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ فيها إشارة إلى علم الله الذي وسع كل شيء.



قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ١٣﴾ [الكهف: ١٣].

أي: نحن نقصُّ عليك أيها الرسول خبرهم بالصدق، إن أصحاب الكهف شُبَّان صدَّقوا ربهم وامتثلوا أمره وزِدْناهم هدى وثباتًا على الحق.

وفي الآية الفوائد التالية:

١) تقديم قوله: ﴿نَّحْنُ﴾ على قوله: ﴿نَقُصُّ﴾ يفيد الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق ، ففيها تعظيم لله وتشريف لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢) فيها دلالة على أن كل ما جاء عن قصة أصحاب الكهف من غير طريق القرآن فهو باطل لقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

٣) فيها الحرص على توجيه الدعوة للشباب لأنهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في الدين الباطل.

٤) زيادة الهدى دليلٌ لأهل السنة والجماعة في معتقدهم بزيادة الإيمان ونقصانه.

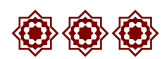
٥) تدل الآية على أن من آمن بربه وأطاعه زاده ربه هدى.



٦) وصف الله لهم بالإيمان يدل على أنه أهم المهمات وفاتحة لكل خير ومقدمٌ على جميع الأعمال.

٧) زيادتهم هدىً مع أنهم مهتدون تدل على أن الهداية لا غنى لأحدٍ عنها.

٨) الله تولى زيادتهم هدى فقال: ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾، وفي هذا دلالة على قرب الله من أوليائه وعنايته بهم، وعلى كرمه سبحانه على عباده إذ لَمَّا آمنوا زادهم هدى.



قال تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٤].

أي: وقوَّينا قلوبهم بالإيمان وشددنا عزيمتهم به حين قاموا بين يدي الملك الكافر، فقالوا له: ربنا الذي نعبده هو رب السموات والأرض لن نعبد غيره من الآلهة، لو قلنا غير هذا لكُنَّا قد قلنا قولا جائرًا بعيدًا عن الحق.

وفي الآية الفوائد التالية:

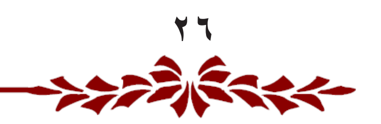
١) تدل على أنه من فضائل الإيمان قوة القلب وتحمل الشدائد لقوله: ﴿ وَرَبَطْنَا ﴾ بعد ذكره إيمانهم في الآية السابقة.

٢) جمع الله لهم فضائل عديدة في الربط على قلوبهم، ومنها: (إنزال الصبر عليهم) و(تثبيتهم) بدلالة لفظ الربط، و(حصول الطمأنينة لهم)؛ لأن مَن رُبط على قلبه اطمأن من الفزع، و(الشجاعة) لأن مَن رُبط على قلبه لم يَفِر عند الفزع.

٣) في ذكر الربط دلالة على شدة ما لاقوه من أذى؛ لأن الربط هو: الشد بإحكام.

٤) في ذكر الربط دلالة على أنَّ من لم يربط على قلبه يتسرب منه الإيمان واليقين ولهذا يضعف حال الابتلاء.

٥) قوله: ﴿ إِذْ قَامُوا۟ ﴾ يدل على أن تثبيت الله لقلب عبده يأتي في الوقت الذي يكون العبد أشد ما يكون إلى الثبات، فالثبات أحياناً يتأخر لكنه يأتي كاملاً.



٦) احتج أهل الكهف بتوحيد الربوبية لإقرار المشركين به وهذا من فقه الاحتجاج.

٧) قوله: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ تدل على كمال إيمانهم حيث نفوا دعاءهم لغير الله وأكدوا النفي بـ﴿لَن﴾ التي تفيد التأبيد، وقالوا : ﴿إِلَٰهًا﴾ وهي نكرة في سياق النفي فتعم أي نوع من المعبودات، وأقسموا على ذلك بقسم مقدر في قولهم : ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾، وحكموا على أنفسهم بالشطط وهو الجور لو قالوا ذلك ..

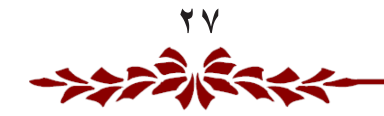
٨) أهل الكهف غايروا بين اللفظين فقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ثم قالوا: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ لأنهم أرادوا إفحام الخصوم حيث أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٩) نفى أهل الكهف الدعاء، وتخصيص الدعاء من بين أنواع العبادات؛ لأنه يجمع أنواعاً كثيرة من العبادة، ففيه: خضوع واستكانة ورجاء ورغبة ورهبة وإخلاص وصدق.

٠١) تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ أبلغ في النفي، وهذا يستلزم اليقين الذي وَقَرَ في قلوب الفتية وخرج على لسانهم وصدقته أفعالهم.

١١) قولهم: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ تفسير لكلمة (لا إله إلا الله) فالنفي في: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ﴾ يقابل النفي في «لا إله»، وإثبات الألوهية في الهاء في ﴿دُونِهِۦٓ﴾ يقابل الإثبات في «إلا الله» فقول أهل الكهف تفسير عملي للمطلوب الحقيقي من قول لا إله إلا الله، فمن لم يكفر بما يعبد من دون الله، ويتبرأ منها ومن عابديها كما فعل أهل الكهف فإنه لم يحقق كلمة التوحيد.

٢١) أقوال أهل الكهف في هذه السورة جمعت أعظم الأعمال القلبية، ومنها: المحبة، والخوف، والرجاء، واليقين، وقد مضى بيانها، ومقام الزهد حيث زهدوا بأفعال قومهم وحياتهم في المدينة، ومقام الإخلاص والصدق ظاهر في قولهم: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ﴾ وصدّق ذلك أفعالهم، ومقام حسن الظن بالله والثقة بما عند الله في قولهم: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ مع أنهم يعلمون حقيقة الكهف، وضيقه، ومن مقاماتهم مقام التسليم لأمر الله ولو خالف عادات المجتمع، وحققوا مقام الصبر بصبرهم على مفارقة قومهم والأذى الذي نالهم.



٣١) في الآية إظهارٌ لقبائح الشرك؛ لأن الشطط يجتمع فيه: البعد عن الصواب، والتعدي، والجور، والظلم، والكذب، والخطأ، والزيادة؛ وكلها أوصاف لائقة بالشرك بالله، فالمشرك بعيدٌ عن الصواب، ومتعدٍ وجائرٌ في أقواله وأفعاله، وظالمٌ لنفسه، وكاذبٌ في ادعائه على الله، ومخطئٌ في تصوره.

❁❁❁

قال تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٥].

أي: هؤلاء قومنا اتخذوا لهم آلهةً غير الله، فهلا أتَوْا على عبادتهم لها بدليل واضح، فلا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب بادعاء أن له شريكـًا.

❁ وفي الآية الفوائد التالية:

١) فيها جمع أهل الكهف في الآية شروط تحقيق لا إله إلا الله، وهما شرطان:

أ - الكفر بما يعبد من دون الله، وقد حققوه بقولهم: ﴿لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗا﴾.

ب - البراءة مِن كل مَن لم يعبد الله ولو كانوا ذوي قربى، وحققوه بقولهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ ﴾.

٢) قوله: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يدل على أن الكثرة لا تعني الصواب.

٣) فيها دلالة على أن الشرك ليس له دليل صحيح وبرهان معتبر لقوله: ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾ وحرف لولا للتحضيض والطلب بِحَثٍّ وشدة.

٤) وإنما قال: ﴿عَلَيۡهِم﴾ والأصنام مؤنثة؛ لأن الكفار نحلوها العقل والتمييز، فجرت مجرى المُذَكَرين من الناس.

٥) الآية تدل على أن أهل الكهف مارسوا الدعوة واقعـًا عمليـًا، وخالطوا قومهم وسمعوا حججهم وتحاوروا معهم، وهذا الذي يفيده نفي أهل الكهف من عدم وجود حجة عند قومهم، وهكذا أولياء الله ينصرهم الله بالحجة والبرهان.



٦) قوله: ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾ يدل على أن الإيمان بالله لا يكفي فيه التقليد، وإنما لا بد من اليقين بدليل، وهذا في الجملة دون التفصيل.

٧) قولهم: ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾ قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد: «فهذه المسألة مفتاح العلم وما أكبر فائدتها لمن فهمها» ويظهر لي أن بيان ذلك من أوجه:

أ - أن الإنسان لا بد أن يكون على بصيرة من أفعاله، ومن ذلك الدليل القاطع.

ب - وأن العبادة تكون توقيفية، مبنية على دليل لقوله: ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ﴾.

ج - وأن الأدلة على أنواع، فمنها البين الظاهر، ومنها دون ذلك لقوله ﴿بَيِّنٖ﴾.

د - وفي حال وجود الدليل البين الظاهر، يجب التسليم بمدلوله؛ لأن السلطان يطاع، والحجة تُتّبع.

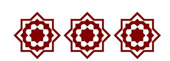
هـ - ونفت الآية وجود أي دليل على صحة معتقد كفري.

و - وأن العلم النافع هو الحجة المحكمة، وهو المراد بقوله: ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ﴾.

ز - وأن عبادة الله سلطانها بيّنٌ ظاهر، إذ نفي الشيء عن أحد المتقابلين إثبات لضده.

ح - وأن الدليل القوي: ما كان قريبًا في فهمه، ظاهراً في دلالته يصعب رده، وهذا هو السلطان البين، وبهذا ندرك أن الأدلة معقدة التركيب، غير مترابطة الأجزاء، بعيدة الدلالة ليست من العلم، ومما يُمثّل له في ذلك أدلة المتكلمين في تقريرهم لعقائدهم.

ط - وأن أدلة الشبهات ليست بينة محكمة، ولهذا يسهل تفنيدها على من وفقه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.





قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ [الكهف: ١٦].

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا
١٦ ۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ
مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن
يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا
وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم
بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٢٠

المعنى: وحين فارقتم قومكم بدينكم وتركتم ما يعبدون من الآلهة ، فالجؤوا إلى الكهف يَبْسطْ لكم ربكم من رحمته ، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش .

وفي الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية :

١) قوله: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ يَعۡبُدُونَ﴾ بعدما دعوا قومهم اعتزلوهم، ففيها أن الاعتزال الشرعي لا يكون إلا بعد القيام بالأمر الرباني.

٢) في الآية جواز الفرار من الظالم، والفرار سيرةُ المظلومين من المؤمنين عبر الأزمان.

٣) قوله : ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو استثناء منقطع يتضمن معنى الانقطاع لله والتبتل إليه، وهذا يناسب حال فتيةٍ رُدت دعوتهم في أمةٍ وثنية فانقطعوا لعبادة ربهم .

٤) طلبهم انتشار الرحمة في الكهف يدل على أن العبرة ليست بسَعَةِ المَسكن، وإنما بما ينشره الله في المسكن من رحمته وبركته.

٥) التفاؤل في قولهم : ﴿يَنشُرۡ﴾ إذ قابلوا ضيق الكهف بانتشار الرحمة فيه، والتفاؤل بأن الله سينشر لهم الرحمة كما يُنشر الثوب فلا يبقى فيه شيءٌ مخفي، ومن التفاؤل ذكرهم لفظ الربوبية ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم﴾ والتي تدل على ربوبية الله وعنايته بهم.

٦) في الآية بيان توكلهم على ربهم واعتمادهم عليه وتفويضهم شأنهم إليه حيث أووا إلى كهف ورتبوا على مأواهم نشر رحمته وتهيئة رفقه بهم.

٧) في الآية كمال ثقتهم ويقينهم وحسن ظنهم بربهم حيث جزموا فقالوا: ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾.



قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

المعنى: وترى الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين، وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار فتعطيهم شيئًا من ضوئها، وهم في متسعٍ من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء، ذلك الذي فعلناه بالفتية من دلائل قدرة الله، ومن يوفقه الله للاهتداء بآياته فهو الموفَّق إلى الحق، ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينًا يرشده لإصابة الحق.

وفي الآية الكريمة من الفوائد واللطائف التالية:

١) في الآية تسخير المخلوقات بأمر الله وحكمته، وهذا يزيد المؤمن ثقة وإيمانًا بربه.

٢) قوله: ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ أي: تعطيهم من ضوئها شيئًا يسيراً، وعلى هذا القول فأشعة الشمس قبل الغروب لها فائدة للأبدان.

٣) قوله: ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ تدل على اتساع الكهف من الداخل فلا يصيبهم ضيق، ولينالهم الهواء وبرد النسيم، وهذا من حفظ الله لأوليائه ومن آيات الله.

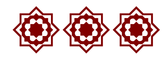
٤) في الآية وصف الله لنا كهفهم واتجاهه وداخله وخارجه لأنه عُمِّر بالإيمان، ولم يخبرنا الله عن دار قارون لأنه دار استكبار.

٥) قوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ ردٌّ على جميع الفرق التي ضلت في باب القدر، **وهي:**

أ ـ فالقدرية القائلين بعدم افتقار العبد لحصول الاهتداء؛ فالآية أثبتت أن الهداية بيد الله.

ب ـ والجبرية القائلين بالجبر؛ لأن المهتدي هو من قام به فعل الهداية بإرادته.

ج ـ والمعتزلة القائلون: بأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله؛ فالآية بينت أن الله هو الذي بيده الهداية والضلال.





📖 **قوله تعالى:** ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٨].

المعنى: وتظن أن أهل الكهف أيقاظًا وهم في الواقع نيام، ونتعهدهم بالرعاية فنُقَلِّبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ وكلبهم مادٌّ ذراعيه بفناء الكهف، لو عاينتهم لأدبرت عنهم هاربًا، ولَمُلِئَتْ نفسك منهم فزعًا.

❁ الآية الكريمة فيها الفوائد واللطائف التالية:

١) جمع الله في الآية الكريمة والتي قبلها الوسائل التي حَفِظَ بها أهل الكهف، وهي:

أ – تزاور الشمس عن كهفهم حال طلوعها لئلا تؤذيهم أشعتها.

ب – قَرضُ الشمس لهم حال غروبها ليصلهم الضروري لهم من أشعتها.

ج – أنهم في فجوة من الكهف فلا يتأذون بضيق.

د – الرائي لهم يحسبهم أيقاظاً وهم رقود فلا يطمع فيهم.

هـ – تقليب الله لهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكلهم الأرض

ح – كلبهم باسط ذراعيه بمدخل الكهف يحرسهم فمن رآه اعتقد خلو الكهف.

ط – من رآهم ولى هارباً فزعاً فلا يرجع إليهم ولا يدل غيره عليهم.

٢) قوله: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يستنبط منه: أنه يلزمك أن ترقى للوصول إليهم ، كما يدل تركيب الكلمة على صعوبة الوصول إليهم، لوجود الشدة في اللفظ والتي تدل على زيادة في المعنى.

٣) قوله: ﴿لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ تدل على أن الهيبة التي يعطيها الله لأوليائه لا تقف أمامها شجاعة الشجعان، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ معروف الشجاعة، ومع ذلك لو نظر إليهم لولى هارباً ولملئ رعباً.

٤) ذكر الكلب مع أصحاب الكهف يدل على فضل صحبة الأخيار حيث شملته بركتهم.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف: ١٩].

المعنى: وكما أنمناهم وحفظناهم هذه المدة الطويلة أيقظناهم مِن نومهم ؛ لكي يسأل بعضهم بعضًا: كم من الوقت مكثنا نائمين هنا ؟ فقال بعضهم: مكثنا يوماً أو بعض يوم، وقال آخرون التبس عليهم الأمر: فَوِّضوا عِلْم ذلك لله، فربكم أعلم بالوقت الذي مكثتموه فأرسِلوا أحدكم بنقودكم هذه إلى مدينتنا فلينظر: أيَّ أهل المدينة أحلُّ وأطيب طعامًا؟ فليأتكم بقوت منه وليتلطف في شرائه مع البائع حتى لا ننكشف ويظهر أمرنا ولا يُعْلِمَنَّ بكم أحدًا من الناس.

ويستنبط من الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) تساؤل أهل الكهف في مدة لبثهم يدل على أن حفظ الله يأتي وصاحبه قد لا يشعر به، وهذا من تمام العناية.

٢) قوله: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فيه دليل على جواز الاجتهاد، والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذباً وإن جاز أن يكون خطأ.

٣) لما اختلف فتية الكهف في مدة اللبث رَدُّوا العلم إلى الله دون نزاع أو اختصام، وهذا من حسن الأدب مع الإخوة ولو لم يتفقوا على رأي.

٤) في الآية الانتقال من الأمر الذي لا طائل تحته إلى الشأن المفيد، فأهل الكهف لما اختلفوا في مدة اللبث ولم يكن لديهم علم فاصل، نقلوا الكلام إلى ما يفيدهم فقالوا: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾.

٥) قوله: ﴿بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ دليلٌ على جواز خلط دراهم الجماعة والشراء بها، والأكل من الطعام الذي بينهم بالشِرْكَةِ وإن تفاوتوا في الأكل.

٦) اختلفت عبارة المفسرين في قوله: ﴿أَزْكَىٰ﴾ وعلى كل قولٍ فائدة:



فقيل: أحل ذبيحة ؛ لأن أهل المدينة يكثر بينهم الذبح للأصنام والمال المغصوب لانتشار الظلم، وفي هذا دليل على وجوب تحري الحلال عند وجود المشتبهات والمحرمات.

وقيل: أجود وأطيب، وهذا يدل على زهد الفتية حيث أنهم أهل رفاهية في الأكل ومع هذا تركوا ماهم فيه من النعيم في سبيل الله.

٧) قولهم: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ ولم يحددوا نوعـاً معيناً يدل على الرضا بكل ما يؤتيه الله لعبده من رزق.

٨) بعثهم المال لسوق المدينة يدل على جواز معاملة الكافر بالبيع والشراء، وهذا شرعٌ لِمَن قبلنا جاء شرعنا بموافقته.

٩) في الآية تربيةٌ على الحذر لقولهم: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ فأتوا بلام التوكيد ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، وتركيب لفظ التلطف فيه زيادة في المبنى لزيادة المعنى، والنهي وتأكيد النهي ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ والوصية بالحذر من أي شخصٍ ﴿أَحَدًا﴾ وهي نكرة في سياق نفي فتفيد العموم.



قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف: ٢٠].

المعنى: إنَّ قومكم إن يطَّلعوا عليكم يرجموكم بالحجارة فيقتلوكم، أو يردوكم إلى دينهم فتصيروا كفارًا، وعندئذٍ لن تفلحوا في الدنيا والآخرة أبداً.

ويستفاد من الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) ذُكر في الآية مفاسد ظهور أهل الكفر على أهل الإسلام، والتي تتلخص في: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾.

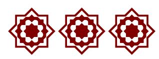
٢) حرف الجر ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يدل على الاستقرار، لأن الأعداء لا يرضيهم إلا استقرار المؤمن في ملتهم ورضاه بها.



٣) الآية تدل على نفي الفلاح عن غير المؤمن ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ فأتوا بأداة النفي ﴿وَلَن﴾، وحرف الجزاء والجواب ﴿إِذًا﴾ والذي يفيد استغراق النفي، والتأبيد ﴿أَبَدٗا﴾ فلم يكن لأهل الكهف مقياساً يقيسون به الفلاح وعدمه إلا الإيمان، أما بهرج الحياة الدنيا، فلا يعني لهم شيئاً.

٤) تقديم الرجم على العَود في ملة الكفر في قولهم: ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾ لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين وبالتالي سيُرجَمون، ويدل على أن الأمة الكافرة همجيةٌ لا تتحاور مع من خالفها ولا تنصت له وإنما تفتك به.

٥) الرجم عند أهل الكهف أهون من العَود في ملة الكفر، فانظر لهم كيف رتبوا ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ على العَود في ملة الكفر، بينما لم يرتبوا شيئاً على ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ وهذه لا يستطيعها إلا أهل الإيمان والتقوى.



الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾

📖 **قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: ٢١].

المعنى: وكما أنمناهم سنين كثيرة، وأيقظناهم بعدها، أطْلَعنا عليهم أهل ذلك الزمان، بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم ؛ ليعلم الناس أنَّ وَعْدَ الله بالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، إذ يتنازع المطَّلِعون على أصحاب الكهف بعد أن انكشف أمرهم فقال فريق: ابنوا على باب الكهف بناءً يحجبهم واتركوهم وشأنهم ربهم أعلم بحالهم، وقال أصحاب الكلمة والنفوذ الذين غلبوا: لنتخذنَّ على مكانهم مسجدًا للعبادة، وقد نهى رسول الله



صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد واللطائف التالية:

١) في الآية إثبات الحكمة لله سبحانه في أفعاله كما يفيده لام التعليل ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ وهذا منهج أهل السنة والجماعة.

٢) الضمير في ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ يحتمل رجوعه إلى: الناس من أهل المدينة الذين كانوا في زمن أصحاب الكهف، فيعلمون بعث الله للناس يوم القيامة، ويحتمل رجوعه إلى: أصحاب الكهف فقد كانوا يقرءون في كتبهم حفظ الله لأوليائه ونصرته لهم فبعثهم ليتيقنوا ذلك، وهذا من عظيم إعجاز القرآن.

٣) في الآية أن التنازع كان من صفات تلك المدينة الوثنية ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ﴾ فكانوا يتنازعون قبل العثور على فتية الكهف في شأن البعث والساعة، ويتنازعون في أمرٍ أثناء العثور على أصحاب الكهف كمدة مكثهم وعددهم وأسمائهم، ويتنازعون في أمرٍ بعد العثور على أصحاب الكهف كتنازعهم في تركهم على حالهم أو البناء عليهم، وهذا يدل على أن التوحيد يطهر المجتمع من النزاعات.

٤) في الآية دلالة على إثبات البعث والنشور فمَن توفى نفوسهم وأمسكها ثلثمائة سنة وأكثر ثم أرسلها إليهم قادر على بعث الناس يوم القيامة.

٥) قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ اختلف المفسرون في الذين غلبوا على أمرهم اختلافاً متضاداً، خاصةً في ديانتهم ومكانتهم.

ففي الدين قيل: مسلمون، **وقيل**: كافرون.

وفي المكانة قيل إن الذين غلبوا هم: الملك المسلم حينئذٍ، وقيل: هم أولياء أصحاب الكهف، وقيل: رؤساء البلد، وكلها أقوال لا دليل عليها، ولهذا مال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى التوقف.

والترجيح يصعب إلا أن الأقرب أن يقال: بأنه بعد العثور على أصحاب الكهف، وثبوت الكرامة لهم عند أهل تلك المدينة، انقسموا إلى طائفتين:



الطائفة الأولى: كانوا موحدين عالمين بعدم مشروعية اتخاذ المساجد على القبور ؛ فأشاروا بسد باب الكهف وكف التعرض عن أصحابه، ويؤيده إرجاعهم الأمر لله فقالوا: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡ﴾ على عادة المؤمنين الموحدين حين يلتبس عليهم أمرٌ من الأمور.

والطائفة الثانية: وهم أهل الحل والعقد من الأمراء والرؤساء، فقالوا نتخذ عليهم مسجداً ثم أقسموا كعادة الكبراء حين تعجزهم الحجة.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾ [الكهف: ٢٢].

المعنى: سيقول بعض الخائضين في شأنهم من أهل الكتاب: هم ثلاثةٌ رابعهم كلبهم ويقول فريق آخر: هم خمسة سادسهم كلبهم، وكلام الفريقين قولٌ بالظن من غير دليل، وتقول جماعة ثالثة: هم سبعة وثامنهم كلبهم، قل أيها الرسول: ربي هو الأعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليلٌ من خلقه، فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالاً ظاهرًا لا عمق فيه، ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم ؛ فإنهم لا يعلمون ذلك.

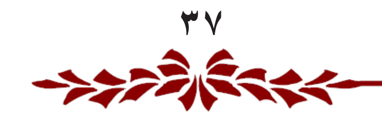
❁ والآية الكريمة يستفاد منها الفوائد واللطائف التالية:

١) في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ دلالة على عدم ضبط أهل الكتاب لما يخصهم ،فلا كتابٌ محفوظ ولا عالمٌ مؤتمن.

٢) دلَّ قوله :﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ على أن سبب كثير من الاختلافات الظن والرجم.

٣) فيها انشغال أهل الكتاب باختلافهم في العدد وترك القضية العظمى من إثبات البعث، وهذا يدل على أن الانشغال بالمسائل الصغيرة يحرم فضل كبار المسائل.

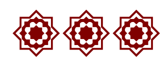
٤) من صياغة الآية استنبط أهل العلم أن أرجح الأقوال أن فتية الكهف سبعة وثامنهم كلبهم؛ لأنه أتبع القولين الأولين بقوله: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ دون القول الأخير.



٥) في الآية تربية على ردِّ علم الأشياء إلى الله، فهذا أسلم وأنفع.

٦) يدل قوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ على أن المجادلة تُقَدَرُ بقدرِ أهمية المسألة الْمُتنازَعُ فيها ،فلما كانت مسألة العدد ليست ذات بال نهى الله نبيه عن الجدال فيها.

٧) الآية تدل على المنع من استفتاء من لايصلح للفتوى لقوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾.



قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

المعنى: ولا تقولنَّ لشيء تعزم على فعله: إني فاعلٌ ذلك الشيء غدًا إلا أن تُعَلِّق قولك بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله، واذكر ربك عند النسيان فإن ذِكْرَ الله يُذهِب النسيان، وقل: عسى أن يهديني ربي لأقرب الطرق الموصلة إلى الهدى والرشاد.

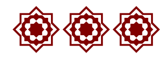
وفي الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) في الآية التأكيد على قول: إن شاء الله لما فيها من البركة والتعلق بالله.

٢) في الآية تربية للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يبقى معتمداً في أقواله وأفعاله على الله وحده.

٣) يدل قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ على ذكر الله عند النسيان مما يدل على أن لذلك أثراً.

٤) في الآية سؤال الله الهداية لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشاد، وفي ذلك حفظ للوقت واختصار للجهد.



قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥].

المعنى: ومكث أهل الكهف نيامًا في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين.

۞ والآية الكريمة فيها الفوائد واللطائف التالية:

١) بيَّن الله مدة لبثهم في الكهف لما يترتب عليه من إثبات البعث، بخلاف عددهم فلم يبينه، فكان من العبث الانشغال بما ترك الله بيانه عمّا بينه الله.

٢) في الآية أن مدة لبثهم في الكهف ثلاثمائة وتسع سنوات إذ الحساب بالتقويم القمري هو سنة المرسلين بينما التاريخ الشمسي من تحريف الرهبان والأحبار لسنة الله.

٣) فيها بيان علم الله المحيط بكل شيء، فقد بيَّنها سبحانه على وجه الدقة بالزيادة التي فوق سنين العقود الثلاثمائة.

٤) في الآية دلالة على أن تغيير الناس يحتاج إلى سنوات طويلة فعلى الدعاة ألا يستعجلوا ثمرة دعوتهم.



قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦].

المعنى: قل: الله أعلم بمدة لبثهم، لأن له غيب السموات والأرض، فما أبصر الله لكلّ موجود، وأسمعه لكلّ مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء، ليس للخلق أحدٌ غيره يتولى أمورهم، وليس له شريك في حكمه وقضائه وتشريعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

۞ وفي الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) في الآية بيان سَعَةِ علم الله حيث أُرجع علم اللبث لله ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾.

٢) تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُۥ غَيْبُ﴾ يفيد زيادة الاختصاص بعلم الله للغيب.

٣) في الآية تعظيم الله لسمعه وبصره المفيد لعلمه لقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ وهي صيغة تعجب، والمعنى: ما أبصر الله لكلّ موجود، وأسمعه لكلّ مسموع فلا يخفى عليه شيء.

٤) تقديم البصر على السمع في قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ لمناسبة حال أهل الكهف فالله



يبصر حالهم وتقلبهم ونومهم.

٥) تكرار ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ دلالة على شدة تعلقهم بربهم فليس لهم أحدٌ يرجونه ويدعونه إلا الله.

٦) في الآية دلالة على قرب الله من أوليائه حين يتعلقون به دون غيره، وهذا من حِكم لفظ ﴿وَلِيٍّ﴾ التي تدل على القرب.

٧) في الآية بيان أن الله هو الحاكم في خلقه قضاءً وقدراً وخلقاً وتدبيراً لقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ حيث نفى الشريك، وجاءت لفظة ﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق نفي فتعم، مبالغة في النفي.

۞۞۞

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٧].

المعنى: واتل أيها الرسول ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه لا مبدِّل لكلماته لصدقها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه.

۞ وفي الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

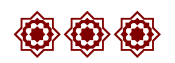
١) الأمر في قوله: ﴿وَٱتْلُ﴾ بعد نهاية القصة يُشعر بأن النبي صلى الله عليه وسلم كُذِّبَ واتُهم فيها فأمره الله أن يستمر بتلاوة الوحي، فكل من كَذَّب بالوحي فلا يحول تكذيبه دون الاستمرار في التلاوة.

٢) في الآية دلالة على أن آيات الله لا تتبدل وسننه لا تتغير ودينه حقٌ وصدق لقوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾.

٣) يدل قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ على إثبات إحاطة الله وقدرته، وضعف المخلوق وعجزه، حيث ابتدأت بالنفي ﴿وَلَن﴾، وخُتمت بالنكرة في سياق النفي ﴿مُلْتَحَدًا﴾ مبالغة في نفي وجود الملتجأ من دون الله.



٤) قوله: ﴿مُلۡتَحَدٗا﴾ أي: ملجأ تعدل إليه، وجاءت بصيغة (الافتعال) لتفيد التكلف والصعوبة في وجود ملجأ دون الله.



الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾

نصف الحزب ٣٠

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

المعنى: واصبر نفسك مع أصحابك مِن فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعونه في الصباح والمساء، يريدون بذلك وجهه، واجلس معهم وخالطهم، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة الحياة الدنيا، ولا تُطِعْ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا، وآثَرَ هواه على طاعة مولاه، وصار أمره في جميع أعماله ضياعًا وهلاكًا.

وفي الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ فيه مجاهدة النفس على صحبة الأخيار وقسر النفس عليهم.

يتضمن: الأمر بمجاهدة النفس وعدم الملل، وترك الاستعجال، والوصاية بالاستمرار.

٢) حرف الجر ﴿مَعَ﴾ يفيد الملازمة، فكأن المعنى: ألزم نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي.

٣) قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الإشارة عنهم بالاسم الموصول للتنبيه لتعليل الأمر بملازمتهم، أي:



لأنهم أحرياء بذلك لأجل إقبالهم على الله فهم الأجدر بالمقارنة والمصاحبة.

٤) جاء اللفظ بالمضارع الذي يفيد الاستمرار ﴿يَدْعُونَ﴾ لدلالة على استمرارية عبادتهم من صلاة وذكر لله في الغداة والعشي.

٥) قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فيها مدح الله للأخيار بأمرين: الإخلاص والعبادة.

٦) قُدِّم دعاؤهم ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ على إخلاصهم ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ للتأكيد على أن استمرار العبادة ناشئٌ عن قوة الإخلاص، وبقدره تستمر العبادة أو تفتر.

٧) قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تجاوزهم بصرك وترفع عنهم نظرك، وفي هذا الكلام تعريض بذم المشركين الذين جعلوا همهم الأمور الظاهرة وأهملوا الاعتبار بالحقائق.

٨) قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيها إعلان لمبدأ إسلامي وقيمة تربوية إيمانية وهي: أن الإسلام لا يقيم وزناً للمظاهر الدنيوية، ولا يمايز الناس بناء على تفاضلها، وإنما جعل التقوى والإيمان هي المعيار.

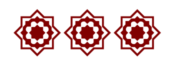
٩) قوله: ﴿عَيْنَاكَ﴾ ذِكرُ العينين لأنهما سببُ الافتتان بالدنيا، ففيها أن من أطلق بصره وتعدى في نظره فقد أراد زينة الحياة الدنيا وعرَّض نفسه للافتتان.

١٠) في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ نهي عن طاعة من أغفل الله قلبه وأعرض عن ربه.

١١) قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ جمع الله فيها ثلاث صفات متتالية، فَمَن ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ فقد أصبح ﴿أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ أي: ضائعاً كما قاله مجاهد.

١٢) قُدِّمت الغفلة في الآية قبل الصفات الأخرى ؛ لأنها مفتاح الشرور كلها من اتباع الهوى والإفراط في الأمر.

١٣) دلَّ النهي عن اتباع الغافل على أن الذي يطاع ويكون إماماً للناس هو: من امتلأ قلبه بمحبة الله وابتغى مرضاته وفاض ذلك على لسانه فلهج بذكر الله.





قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩].

المعنى: وقل: ما جئتكم به هو الحق من ربكم، فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجحد فليفعل فما ظَلَم إلا نفسه، إنا أعتدنا للكافرين نارًا شديدة أحاط بهم سورها، وإن يستغث هؤلاء الكفار في النار بطلب الماء مِن شدة العطش يُغاثوا بماء كالزيت العَكِرِ شديدِ الحرارة يشوي وجوههم، قَبُح هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل يزيده، وقَبُحَتْ النار منزلا لهم ومقامًا.

يستنبط من الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ ذكر الربوبية إلزامـًا لهم لإقرارهم بها، ولأن الربوبية تستلزم الألوهية.

٢) قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ للتهديد والوعيد، ونسب الإيمان والكفر إليهم ليبين أن ذلك بإرادتهم واختيارهم، وفي ذلك ردٌ على الجبرية.

٣) قدم الإيمان في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ على الكفر ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ حثـًا لهم وترغيبـًا للدخول في دين الله، وهذا من رحمة الله بعباده.

٤) قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ فيه عدم المبالاة بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم، وتدل الآية على أن الله لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين.

٥) تسمية الكافر ظالمـًا في قوله: ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ للتنبيه على أن مشيئته للكفر واختياره له تجاوزٌ عن الحد ووضعٌ للشيء في غير موضعه؛ فالكفر أظلم الظلم.

٦) التنوين في قوله: ﴿نَارًا﴾ للتهويل والتعظيم، كما تقول: وقفتُ على أمرٍ، والمعنى: أمرٌ عظيم.

٧) جاء الفعل بصيغة الماضي ﴿أَحَاطَ﴾ لتأكيد وقوعه وتحققه وهذا أشد في الترهيب.



٨) قوله: ﴿سُرَادِقُهَا﴾ فيه ثلاث لطائف: تشبيه النار بالدار، ويدل على المبالغة في إحاطة دار العذاب بهم كما هو شأن السرادق الذي يحيط بالبناء، وفيه استعارة تهكمية لأن السرادق يكون في بيوت أهل الترف.

٩) لما ذكر تعالى شأن النار ناسب أن يعقبها بقوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ﴾ إما للشرب أو للتبريد من حر النار.

١٠) ذكر الوجه دون سائر الأعضاء في قوله: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ لأنه أشد الأعضاء تألمـًا من حر النار، وللدلالة على احتراق الباطن من باب أولى.

١١) ختم الآية بقوله: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ليدخل في اللفظ أنواعـًا أخرى من العذاب مما لا يجعل الإنسان مرتفقـًا فيها براحة، وذلك مما لا يمكن تصوره من العذاب.

۞۞۞

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠].

المعنى: إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات لهم أعظم المثوبة، إنا لا نضيع أجورهم على ما أحسنوه من العمل.

۞ ويستفاد من الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) جاءت الآية الكريمة على نسق القرآن في إعقاب الترهيب بالترغيب فراعى فيها حال السامعين من المؤمنين فإنهم حين يسمعون ما أعد للمشركين تتشوف نفوسهم إلى معرفة ما أعد للذين آمنوا.

٢) افتتاح الجملة بحرف التوكيد ﴿إِنَّ﴾ لتحقيق مضمونها وإعادة الحرف ﴿إِنَّا﴾ في الجملة المخبر بها ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ لمزيد العناية والتحقيق بهم.

٣) في قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ حثٌّ على تحسين الأعمال لاستيفاء تمام الأجور.

٤) قوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ في الآية حثٌّ على إحسان العمل، ومفهوم المخالفة منه: أن الله يضيع أجر من أساء عملاً.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف: ٣١].

المعنى: أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائمًا تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة، يُحَلَّون فيها بأساور الذهب ويَلْبَسون ثيابًا ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغليظه يتكئون فيها على الأسِرَّة، نِعْمَ الثواب ثوابهم وحَسُنتِ الجنة منزلاً ومكانًا لهم.

❁ ويستنبط من الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) بين الآية وما قبلها تناسب يدل على حكمة الله؛ لأن ما أُجمِلَ من عدم إضاعة أجرهم يجعل السامع يستشرف ما يبين هذا الأجر، فبينته هذه الآية الكريمة.

٢) سمى الله جنتهم عدن ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ ليفيد معنى الاستقرار إذ أن عَدَنَ في اللغة هي: الاستقرار، وهذا يضيف للنعيم نعيمـًا آخر هو الدوام.

٣) أضاف ﴿تَحْتِهِمُ﴾ لضميرهم وليس للجنات، فلم يقل: تجري من تحتها لبيان إكرامه لهم؛ فلتمام ملكهم للجنات جعل الأنهار تجري من تحتهم لأنهم يملكونها.

٤) لفظ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ يفيد بيان ما هم فيه من نعيم إذ الحلية هي الزينة، وصيغة الفعل بالمضارع تدل على استمرار التحلي لهم فنعيمهم يتجدد بتجدد التحلي لهم.

٥) وكذلك إسناد الفعل للمجهول ﴿ يُحَلَّوْنَ ﴾ ولم يبين من الذين يحليهم؟ ليشعر بأنهم مخدومون حتى في لباسهم وحليتهم وهذا من كمال النعيم.

٦) قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ نَكَّرَ لفظ ﴿أَسَاوِرَ﴾ للتفخيم، وأعاد حرف الجر ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ للتخصيص ولبيان أعلى أنواع الحلية وهو الذهب تكريمـًا لهم.



٧) قَدَّمَ الحلية على اللباس لأن الحلي في النفس أعظم وإلى القلب أحب وفي القيمة أغلى وفي العين أحلى، وللإذن بما كانوا ممنوعين منه في الدنيا لتطيب أنفسهم.

٨) قوله: ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا﴾ نسب الفعل إليهم لأن لذة اللباس تكون في لبس صاحبه له دون الحلي الذي يكون كماله في تلبيس الخدم لمالكه.

٩) ذكر الله لون اللباس ﴿خُضۡرًا﴾ لأنه أجذب الألوان وأنفعها للبصر، وهو لباس الملوك عند العرب، وقدم الله لون اللباس على نوعه لبيان نعيمهم في الظاهر، فذكر لون لباسهم ثم بين أنه من سندس وإستبرق.

١٠) اتفقت كلمة المفسرين على أن ﴿سُندُسٍ﴾ هو: ما رَقَّ من الديباج، وقوله: ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٍ﴾ هو ما غلظ من الديباج والحرير، وبعضهم يستدل بالإستبرق على بريقه ولمعانه وصفاء لونه، وهذا من إنعام الله عليهم بتعدد الحرير وصفاء ألوانه.

١١) قوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ وهي جِلسة من اطمأن وتنعم، و﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ مجموع تفسيرات السلف تدل على أنها: سرير مُنَجَّد مُزَيَّن في قُبَّة، فجَمَعَ اللفظ لهم: نعيم الملوك وجلسة المرتاح، نسأل الله الكريم من فضله.

١٢) قوله: ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ الضمير يعود على الجنات، وناسب ختم الآية بها مقابلةً بما ذكره عن أهل النار في الآية السابقة، وهي خاتمة تتضمن: الراحة والاغتباط وحسن المكان.

۞۞۞

قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢﴾ [الكهف: ٣٢].

المعنى: واضرب لكفار قومك مثلاً رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب، وأحطناهما بنخل كثير، وأنبتنا وسطهما زروعًا مختلفة نافعة.



ويستنبط من الآية الفوائد واللطائف التالية:

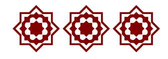
١) قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴾ قد يكون هذا من باب ضرب الأمثال، ويحتمل أن يكون المراد بهما قصة حقيقية وهو الأظهر من سياق الكلام لأن فيها محاورة وحكايات.

٢) قوله: ﴿رَّجُلَيْنِ ﴾ قيل: إنهما من بني إسرائيل وعليه فمن تفضيل الله للأمة المحمدية أن ضرب له العبرة والموعظة من حياة بني إسرائيل حتى لا تتبع سبيلها فيما غوت به.

٣) قوله: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ أي: جعلنا له بستانين من عنبٍ وأطفناهما بنخلٍ على حافتيهما وجعلنا وسط هذين البستانين زرعـًا، وهذا أفضل ما يكون من هيئة الزرع الناضج والبستان الخلاب، وقد يكون له أثر على النمو ويرجع في ذلك لأهل الخبرة.

٤) يؤخذ من الآية أن الله يُقّسم رزقه بين عباده وأن الرزق لا يرتبط بالإيمان، فقد يُعطي الكافر استدراجـًا ويُحرم المؤمن ابتلاءً واختباراً.

٥) في الآيات تأكيد على استعمال أسلوب القصة لما له من الأثر التربوي.



قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: ٣٣].

المعنى: وقد أثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمرها، ولم تُنْقِص منه شيئًا، وشققنا بينهما نهرًا لسقيهما بسهولة ويسر.

الآية الكريمة فيها الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾ الظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه تعديـًا، ومثل ذلك أن يَنتقص مما يُطلب منه ؛ لأن من نقّص من حق غيره فقد وضع مقدار النقص في غير موضعه، ومن ذلك سمي نقص الثمار هنا ظلمـًا.



٢) والآية تدل على أن الجنتين ليستا كسائر البساتين، فإن الثمار غالبـًا تكثر في عام وتقل في آخر بخلاف الجنتين، وهذا من إتمام الله نعمته على عبده.

٣) قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ بالتشديد للمبالغة في وفرة الماء وقوة جريانه ويعود انعكاس ذلك على نمو الجنتين، وهذا من نعمة الله على صاحب الجنتين أيضـًا.

٤) قوله: ﴿خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ تدل على أمرين:

أ – أن من تمام نعمة الله على الرجل أن جعل مصدر سقي الجنتين نهراً ليوفر عليه جهد جلب الماء أو حفر بئر، ويكون في مأمن من قلة المورد.

ب – جعل النهر يجري خلال الجنتين متوسطـًا منهما وهذا أفضل ما يكون لجمال البستان ولنمو الزرع ولاستغلال مساحة الأرض، إذ لو كان في أحد طرفيها لشق استغلال الطرف الآخر، فسبحان من أكمل نعمه على عبده.



قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٤].

المعنى: وكان لصاحب الحديقتين ثمرٌ وأموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يحاوره في الحديث والغرور يملؤه: أنا أكثر منك مالاً وأعز أنصارًا وأعوانًا.

وفي الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ دليل على وفرة النعم التي يتقلب فيها الرجل، وقد قرئ (ثمر) بفتح الثاء المثلثة وتفيد كثرة ما يتقلب فيه صاحب الجنتين من النِعم، ويلزم من كثرتها وفور عوائدها من الذهب والفضة.

وقرئ بالضم (ثُمُر) أي: أصناف المال، فتدل قراءة الضم على وجود نعمٍ أخرى لصاحب الجنة، ولا تعارض بين معنى القراءتين.

٢) قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أي: أنصاراً وحشماً، وقيل: يقصد الأولاد الذكور على وجه الخصوص لأنهم ينفرون معه، وقيل: عشيرةً ورهطاً، ولا تعارض بين الأقوال فإن ضخامة الجنتين استدعت كثرة الأعوان والأنصار والرقيق والخدم، وأما كثرة الأولاد فتستفاد من قول صاحبه المؤمن: ﴿أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ فدل على كثرة أولاد صاحبه.

٣) بينت الآية أن مفاخرة الفاجر بكثرة الأموال والأولاد، فهو يفاخر بما ليس له.

٤) قوله: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالًا ﴾ بدأ بذكر المال لأنه المقدم في نفسه، حيث تعلقت به نفسه فجرى على لسانه، ولأن كثرة المال تبهر أكثر من غيرها.

٥) في الآيات بيانٌ لأثر طغيان الغنى على الإنسان، فالرجل صاحب الجنتين وصله به الأمر إلى إنكار البعث والكفر.

٦) حرص الرجل على أن يقول: ﴿مِنكَ ﴾ للإشارة لتحقير من يحاوره، وهي لغة المستكبر الاستعلائية.

٧) أظهرت الآية مرضاً دفيناً عند صاحب الجنتين وهو الكبر، فابتدأ كلامه بقوله: ﴿ أَنَا۠ ﴾، وذكر مبدأ الكثرة في ماله وأولاده ونوَّع ألفاظ الكبر ﴿أَنَا۠ ﴾ ﴿أَكۡثَرُ ﴾ ﴿وَأَعَزُّ ﴾، وقاس فضائل الآخرة على منازل الدنيا فقال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا ﴾ وهذا لا يكون إلا من كبر دفين.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

المعنى: ودخل حديقته وهو ظالِمٌ لنفسه بالكفر بالبعث وشكه في قيام الساعة، فأعجبته ثمارها وقال: ما أعتقد أن تَهْلِك هذه الحديقة مدى الحياة، وما أعتقد أن القيامة واقعة، وإن فُرِضَ وقوعها – كما تزعم أيها المؤمن – ورُجعتُ إلى ربي لأجدنَّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعًا ومردًا ؛ لكرامتي ومنزلتي عنده.

❁ وفي الآيتين الكريمتين الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: حال كونه ظالماً لنفسه، وفي هذا تحذير من أن يسير الإنسان حياته ويتنقل من مكان لآخر والظلم يصاحبه.

٢) يدل قوله: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ على أنه أنكر البعث اغتراراً بحسن جنته، وفي هذا تحذير من الاغترار بالنعيم فقد يكون سبباً في ضلاله.

٣) قوله: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فيه بيانٌ لطول أمل الكافرين.

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ
بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ
مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

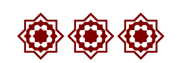
٤) قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ ذكره للساعة وهي لفظ شرعي يدل على بلوغه العلم بها لكنه لم يتحقق لديه شرط اليقين القلبي.

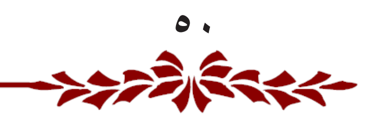
٥) تكرر في كلام الرجل قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ﴾ مما يدل على أن أقوال الكافر وأفعاله في اضطراب وعدم يقين دائماً.

٦) قوله: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ هذا القسم تضمن مغالطاتٍ منها: قَسَمُهُ على هذا الاعتقاد مع أنه يظنه ظناً، وأَكَّدَ قسمه بنون التوكيد، وجعله الجنة التي سيجدها عند الله جعلها أفضل من جنته في الدنيا، ولم يجعلها مساوية لها أو هي بعينها.

٧) قول الرجل الضال: ﴿إِلَىٰ رَبِّى﴾ دليلٌ على أن الإيمان بالربوبية غير كافٍ في حصول الإيمان، فهو يعترف بربه ومع هذا لم ينفعه ذلك.

٨) قوله: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ السبب في وقوع هذه الشبهة له اعتقاده بأن الله إنما أولاه ما أولاه في الدنيا لأنه مستحق لذلك، أو لأنه قاس الآخرة على الدنيا.





قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف: ٣٧].

المعنى: قال له صاحبه المؤمن وهو يحاوره واعظًا له: كيف تكفر بالله الذي خلقك مِن تراب ثم مِن نطفة ثم سَوَّاك بشرًا معتدل القامة والخَلْق؟.

وفي الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ يحتمل أن يكون استفهامـًا إنكاريـًا، ويحتمل أنه على الحقيقية فيكون الرجل صاحب الجنتين غير مشركٍ أول الأمر إلا أنه زاد إعراضه وفجوره مما جعل صاحبه المؤمن يبادره النصيحة في جنته، فإذا بصاحبه تردى حال إيمانه إلى درجة إنكار الساعة، فقال المؤمن عند ذلك: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ مستفهمـًا لأنه لم يكن كذلك.

٢) يفيد قوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ أن الشك في الساعة وإنكار البعث كفرٌ بالله تعالى ومسائل الاعتقاد متفق عليها بين الأمم.

٣) وفي قوله: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ إشارة لتذكيره بالموت لأن الخلق سيرجعون إلى التراب، وتذكيره بأصله الذي خُلق منه وهذا نافعٌ في علاج الكبر، وفيه الإشارة إلى أنك لا تختلف عن بني آدم فنشأتك من تراب كنشأتهم وبالتالي علامَ تتكبر عليهم ؟.

٤) قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ فيه الإلماح إلى أنك لم تكن شيئـًا مذكوراً، وأن الضعف والعجز أصلٌ فيك، وأن الله هو الذي أمدك بنعمه فَلِمَ تكفر ؟!.

٥) في الآية تدرجٌ في تذكيره بالنعمة ابتداءً من التراب ثم النطفة ثم كمال الخلق سويـًا.

٦) بينت الآية علاج المتكبر من خلال وسيلتين تربويتين:

أ – تذكيره بالنشأة الأولى: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

ب – تعداد نِعمِ الله عليه: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾.





قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الكهف: ٣٨].

المعنى: لكن أنا لا أقول بمقالتك الدالة على كفرك، وإنما أقول: المنعم المتفضل هو الله ربي وحده ولا أشرك في عبادتي له أحدًا غيره.

وفي الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) الرجل المؤمن أكدَّ اعترافه بخالقه بمؤكدات:

- الجملتان الاسميتان، وهما قوله: (أنا) وجملة ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ والجملة الاسمية تفيد الثبات والاستمرار.
- وضمير الشأن: ﴿هُوَ﴾ والمعنى: أنا أقول: الله ربي، وهذا يفيد التأكيد.
- وتعريف المسند وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾.
- ووجود المسند إليه وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾ المفيد قصر صفة الربوبية على نفس المتكلم قصراً إضافياً بالنسبة لمخاطبه.

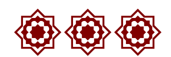
٢) في الآية دلالةٌ على التصريح بالإيمان في محاجة الملحد المنكر للبعث كما صرَّح بقوله: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾.

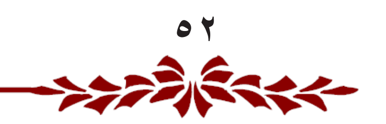
٣) استعمل الرجل المؤمن لفظ الربوبية في قوله: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ إفحامًا لصاحبه وإلزامًا له بإيمانه بالربوبية لأن ذلك يستلزم الألوهية.

٤) بينت الآيتين منزع الفخر بين الرجلين:

فالرجل الكافر:افتخر بقوله: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾.

والمؤمن: افتخر بعقيدته قائلاً: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ وهذا سر تميزه وقرب الله منه وانتصاره له.





قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الكهف: ٣٩].

المعنى: وهلاَّ حين دخَلْتَ حديقتك فأعجبتك حَمِدت الله وقلت: هذا ما شاءه الله لي لا قوة لي على تحصيله إلا بالله، إن كنت تراني أقل منك مالا وأولادًا.

فالآية الكريمة فيها الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ ﴾ تحضيض وحثٌّ ويتضمن معنى التوبيخ والوصية لأنه دخل على فعلٍ ماضٍ، وهذا من إعجاز اللفظ القرآني إذ يتضمن اللفظ عدة أساليب.

٢) تقديم الظرف ﴿ إِذْ ﴾ على متعلقه وهو قوله: ﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ للدلالة على تأكد الذكر الوارد حين الدخول.

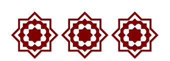
٣) قوله: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ تقديره: الذي شاء الله لي وأعطاني إياه كائنٌ، لا قوة لأحدٍ على أمرٍ من الأمور إلا بإعانة الله وإقداره، وهذا يفيد إثبات المشيئة لله، وأنها نافذة ماضية، وأنه لا يُسأل عما يفعل، فيهب من يشاء ويحرم من يشاء.

٤) تدل الآية أن من رأى من ماله ما يُعجِبُهُ فليقل: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، وقد ورد بذلك آثار عن السلف يتأولون هذه الآية الكريمة.

٥) قوله: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ ﴾ فصلت ﴿أَنَا۠﴾ بين الفعل ومفعوله، للدلالة على ما وقع في نفس الرجل الكافر من احتقار صاحبه المؤمن.

٦) الرجل الكافر قال: ﴿مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ بينما قال الرجل المؤمن: ﴿مَالًا وَوَلَدًا ﴾ لوجود الأعوان عند الرجل الكافر من غير الأولاد كالخدم والعمال.

٧) قوله: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ فيه توجيه لأهل الأموال بالنظر إلى من هو دونهم ليذكروا نعمة ربهم عليهم.





قوله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الكهف: ٤٠-٤١].

المعنى: فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك، ويرسل على حديقتك عذاباً من السماء، فتصبح أرضًا ملساء جرداء لا تثبت عليها قدم ولا ينبت فيها نبات، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائرًا في الأرض فلا تقدر على إخراجه.

الآية الكريمة فيها الفوائد واللطائف التالية :

١) قوله: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ ظاهر السياق يقتضي طلبه جنة الآخرة؛ لأن روح المؤمن معلقة بالآخرة والترفع عن الدنيا.

٢) قوله: ﴿ فَعَسَىٰ ﴾ هي للرجاء القريب الحصول وهذا من يقين الرجل المؤمن بربه وقرب استجابته.

٣) اختار الرجل المؤمن لفظ الربوبية ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ ﴾ لمناسبة طلبه أن يؤتيه الله [١] وهذا من معاني ربوبية الله لعباده.

٤) الآية تدل على بدء الإنسان بالدعاء لنفسه كما فعل الرجل المؤمن حيث بدأ بطلب إيتائه الله خيراً من جنة صاحبه.

٥) لم يتعرض الرجل المؤمن للأولاد فلم يقل: (وأن يؤتين خيراً من ولدك)؛ لأنه يكفي في نكاية الرجل الكافر تلفُ جنتِهِ، كما أن المؤمن ليس من هديه أن يدعو على من ليس له مشاركة في الإثم والكفر كأولاد هذا الرجل، وهذا سلوك راقٍ وخلق مهذب.

٦) قوله: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ دعا الرجل على جنةِ صاحبِهِ بأمرين:

أ - أن تكون ﴿صَعِيدًا﴾ أي: لا نبات فيها بيضاء.

ب - وأن تكون ﴿زَلَقًا﴾ أي: ملساء تزلق بها القدم فلا تستقر [١] نتيجة نزول الأمطار مع الصواعق، وعبَّر بالمصدر ﴿زَلَقًا﴾ مبالغة [١].

٧) سبب دعاء الرجل المؤمن بالغور ﴿مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ مقايضة لما كانت عليه جنة صاحبه إذ كان فيها نَهَرٌ ومياهها ظاهرة، فلما كفر استحق الدعاء بسلب النعمة التي لم يقدرها ولم يشكرها.

٨) قال الرجل: ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ ولم يقل: فلن تجده، لأن عدم الاستطاعة أشد ألمـًا في النفس والعذاب، بخلاف عدم الوجود فإنه يقطع الأمل.

٩) دعا الرجل المؤمن على جنة صاحبه بالهلاك والفناء لأن الكافر قال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ فكان الدعاء مناسبـًا للدعوى.

١٠) في الآية جواز الدعاءِ على الطغاة المستكبرين بأموالهم.



قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢].

المعنى: أحاط العذاب بالجنة وثمارها فهلك كل ما فيها، فصار الكافر يُقَلِّب كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها، وهي خاويةٌ قد سقط بعضها على بعض، ويقول: يا ليتني آمنت بالله ولم أشرك به أحدًا.

الآية الكريمة فيها الفوائد واللطائف التالية:

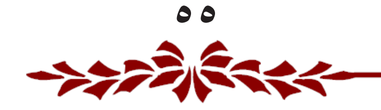
١) الآية تدل على استجابة الله لدعاء أوليائه وعباده المتقين، فقد استجاب الله دعاء الرجل المؤمن وأتى العذاب على الصفة التي دعا بها والهيئة التي أوردها.

٢) قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ يفيد أن العذاب نزل من جميع الجهات بالجنتين؛ ويستنبط ذلك من لفظ الإحاطة ﴿وَأُحِيطَ﴾ وهذا يدل على شدة عذاب الله إذا نزل.

٣) قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ ذكر الإحاطة للثمر مع أن العذاب أحاط بالجنتين؛ لأن قلب الرجل متعلق بالثمر فإحاطته بالعذاب فيه تكبيتٌ وتحزين له.

٤) قوله: ﴿فَأَصۡبَحَ﴾ يحتمل من ذِكر الصباح أن العذاب نزل ليلاً وهذا أشد نكاية وأنسب في أحوال العذاب عامةً، ويحتمل أن المراد: سرعة هلاكها واستئصالها فلم يكن العذاب تدريجيـًا وإنما دفعة واحدة.

٥) قوله: ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ تقليب الكفين يدل على الندم والتحسر ويدل على تعجبه من زوال



ما كان يقول عنه: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾، وهذه العادة تكون غالبًا حينما يُخرس اللسان عن الكلام من شدة الهول.

٦) قوله: ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ تخصيص الندم على الإنفاق ليجتمع عليه العذاب النفسي والمادي.

٧) قوله: ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ فيها دلالة على بذل السبب والحصول على النتيجة، فالرجل الكافر بذل أسباب نمو الجنة ونمائها بالإنفاق عليها فكانت النتيجة قبل العذاب ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾.

٨) قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ يدل على أنه عَلِمَ أنه أُوتي من قِبلِ شِركِهِ، فتمنَّى لو لم يكن مشركًا، والإنسان يعلم ذنبه لكنه يكابر، ويحتمل أن يكون ذلك توبةً من الشرك وندمًا على ما فرط منه.

٩) الآية تدل على شؤم المعصية على صاحبها نسأل الله العافية، والشرك أشد الذنوب شؤمًا لعظيم جرمه.

١٠) ذكر الرجل الربوبية: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ ولم يقل: ولم أشرك بالله، لومًا وتوبيخًا لنفسه التي أشركت بالله مع أن الله يربيها بِنِعَمٍ لم يشعر بها إلا حين فَقَدَها، ولعل هذا من لحظات صفاء النفس والاعتراف بأخطائها، فلحظات الصفاء هي أصدق ما يكون الإنسان مع نفسه.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٤٣].

المعنى: ولم تكن له جماعة ممن افتخر بهم يمنعونه مِن عقاب الله النازل به، وما كان ممتنعًا بنفسه وقوته.

في الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) الآية الكريمة دليلٌ على شدةِ العذاب الواقع على الجنة، وفي هذا عبرةٌ لكل معتبر إذ لا ينفع من دون الله شيءٌ.

٢) بينت الآية الكريمة انقطاع أسباب النصرة عن الرجل، إذ أسباب النُصرة إما:

- قوة لدى الشخص نفسه: وقد نُفيت بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾.
- أو أعوانٌ وأنصارٌ يدفعون عنه: وقد نفتها الآية بقوله: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

٣) قدم الله ذكر الفئة ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾ لأن الرجل سبق قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ فناسب تقديم نفي نصرة الفئة له وأنها لم تنفعه حين نزل أمر الله.

٤) غاير الله في الصيغة بين ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ لأن انتصاره لنفسه أشد انتفاءً من انتصار الفئة له فأتى بصيغة الماضي ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾، وليبين أيضاً أن الرجل الكافر لم ينتصر لنفسه في ماضي أمره فهو ضعيف حتى حين ازدهار الجنة فلولا أعوانه وأنصاره لم يستطع أن يزهر جنته في حلتها التي كانت عليها، فهو ضعيف في حقيقة أمره.

٥) الآية تؤكد أن عدو الله لا ناصر له ولا معين، وبالمقابل توضح أن ولي الله ينصره الله ولو بعد حين.

۞۞۞

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الكهف: ٤٤].

المعنى: في مثل هذه الشدائد وغيرها تكون الوَلاية والنصرة لله الحق هو خير جزاءاً وخير عاقبة لمن تولاهم من عباده المؤمنين.

۞ ويستفاد من الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ قرئ بالفتح والكسر، وهو بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك وكلاهما لله، فالله هو الناصر وهو الملك.

٢) ناسب إيراد اسم الله ﴿ٱلْحَقِّ﴾ في هذا الموضع لأن السياق يدل على إثبات الولاية الحقيقية لله الحق، فكل ولاية غير الله زائلة.



٣) قوله: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ﴾ يفيد الحصر؛ لأن: المسند إليه مُعَرَّف ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾، والخبر مقترن بلام الاختصاص ﴿لِلَّهِ﴾ وهذا يفيد انحصار الولاية لله وحده دون غيره، وهذا يُحّفز المؤمن للاعتماد على الله وحده.

٤) قوله: ﴿ثَوَابًا﴾ لفظٌ عام فتشمل الخيرية ثواب الله في الدنيا وثواب الله الآخرة، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

٥) قوله: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة، وهي صيغة مبالغة، وتدل الآية على أن عاقبة المؤمن عند الله أفضل مما فاته من نصيبه في الدنيا.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الكهف: ٤٥].

المعنى: واضرب أيها الرسول للناس صفة الدنيا التي اغترُّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها، فهي كماءٍ أنزله الله من السماء فخرج به النبات وصار مُخْضرًّا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا تنسفه الرياح، وكان الله ذا قدرة عظيمة على كل شيء.

❁ ويستفاد من الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية:

١) مناسبة الآية لما قبلها ظاهرٌ حيث أن التعلق بمظاهر الدنيا من الجنات والزروع أدى لكفر صاحبه وإشراكه بالله، فناسب أن يبين الله حقيقة الحياة الدنيا لئلا يغتر بها العباد.

٢) قُدِّم الجار والمجرور ﴿لَهُم﴾ للتخصيص، مع أن المَثَلَ صالحٌ للمؤمنين والكفار لكن لأن تعلق المشركين بالدنيا صدهم عن دين الله فناسب أن يُخصص لهم المثل.

٣) في الآية دلالة على ضرب الأمثال وتقريبها للناس، وهو أسلوب تربوي يرسخ المراد في الأذهان.

٤) ذكر القرطبي أوجه تشبيه الحياة الدنيا بالماء في قوله: ﴿كَمَآءٍ﴾ لأن الماء لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالةٍ واحدةٍ كذلك

الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحدٌ أن يدخلَهُ ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدرٍ كان نافعـًا منبتـًا، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكـًا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

٥) قوله: ﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾ المراد: اختلاط النبات بعضه ببعض وتشابكه لكثرته وزيادة نموه ، وهذا يدل على زهرة الحياة الدنيا.

٦) جمع النبات بقوله: ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ ليبين تعدد أنواع النبات، وكذلك هو الحال بالنسبة لنعيم الدنيا فهو متعدد.

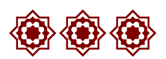
٧) الفاء في قوله: ﴿فَأَصۡبَحَ﴾ للتعقيب، وتدل على سرعة زوال بهرج الحياة الدنيا.

٨) قوله: ﴿هَشِيمٗا﴾ الهشيم يجمع بين وصفين: اليُبس والتكسر.

وهذا يدل على تغير حال النبات وكذلك الدنيا تتغير فلا تثبت على حال.

٩) قوله: ﴿تَذۡرُوهُ﴾ الذرو يجمع بين: التطاير والتفرق، وهكذا نعيم الدنيا بعد زواله كأن لم يكن، وهذا يدل على أن نعيم الدنيا يجمع بين: قصر فترته وزواله.

١٠) مناسبة ختم الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ لأن صفة القدرة حاضرةٌ في الْمَثَل، ففي الْمَثَل المضروب: بداية ونهاية، ونزول وصعود، واخضرار وصفرة، ورطب ويابس، وترتب الأسباب على مسبباتها، وهذا كله بقدرة ربانية.



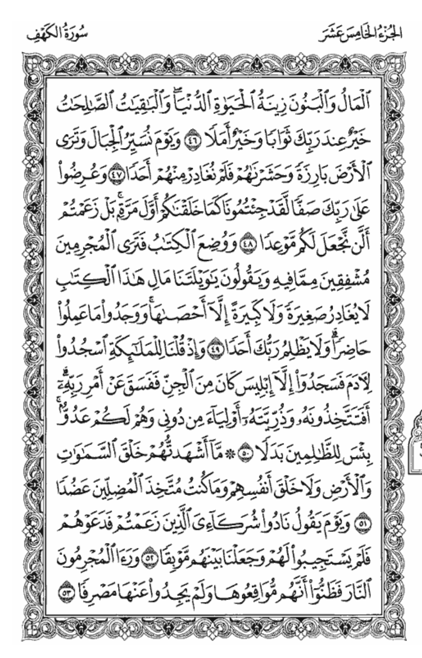
قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

المعنى: الأموال والأولاد جَمال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة أفضل أجرًا عند ربك من المال والبنين، وأفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه، فينال بها في الآخرة ما كان يأمُله في الدنيا.



❁ ويستفاد من الآية الكريمة الفوائد واللطائف التالية :

١) قَدَّمَ ذكر الأموال لتعلق الناس بها جميعـًا ذكوراً وإناثـًا وكباراً وصغاراً.



الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

٢) خَصَّ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ مع كثرة زينة الحياة الدنيا إما: لشدة تعلق الناس بهما أكثر من غيرهما، أو لشمولهما لكل أنواع ملذات الدنيا، أو لأن في المال جمالاً وفي البنين قوة ودفعـًا وبذلك تكتمل زينة الدنيا.

٣) خص الأبناء دون البنات بقوله: ﴿وَٱلْبَنُونَ﴾ لأن تعلق قلوب الناس بهم أشد.

٤) أُفرِد لفظ المال بقوله: ﴿ٱلْمَالُ﴾ ولم يجمعه كما جمع ﴿وَٱلْبَنُونَ﴾ لأن أَنفُس الناس تتعلق بأي مقدار منه ولو كان قليلاً.

٥) في قوله : ﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ دلالة على أمرين:

أحدهما: بيان سرعة انقضاء الدنيا وزوالها كحال الزينة الفانية.

والآخر: فيه توجيه للاستفادة من متاع الحياة الدنيا، فمن استعمل المال على أنه زينة فلن يخرج به عما أمر الله.

٦) سمى الله الأعمال الصالحة : ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾ مقابلة بزينة الحياة الدنيا، ولأنه يبقى نفعها لصاحبها في حياته وبعد مماته.

٧) قَدَّم الله لفظ الباقيات على لفظ الصالحات: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ ليبين أن جوهر تميزها هو البقاء دون الزوال، فالعاقل يعرف التمايز بينهما بإدراكه لفضيلة البقاء.

٨) في الآية بركة الأعمال الصالحة إذ يجتمع فيها الصلاح في ذاتها وبقاء آثارها.

٩) الآية تدل صراحةً على أن الأعمال الصالحة خير من المال والبنون.



١٠) فائدة قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ليبين للمؤمن أن مقياس الخيرية مقياس شرعي وليس راجع للهوى والرأي، فالرأي والهوى قد يُفَضِّلُ المال والبنون على غيرهما.

١١) ذكرت الآية أثرين للأعمال الصالحة وهما:

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ و﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ والثواب: يكون في الآخرة، والأمل: يكون في الدنيا، فدلت الآية على أن الله يجمع الأجر لعبده في الدنيا والآخرة.

١٢) دل قوله: ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ على أن الأعمال الصالحة هي خير ما يؤمل عليه العبد في دنياه فمن أراد توفيق الله وإعانته فسبيل ذلك أن يتعبد لله بالصالحات.



قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾ [الكهف: ٤٧].

واذكر لهم يوم نُزيل الجبال عن أماكنها وتبصر الأرض ظاهرة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات، وجمعنا الأولين والآخِرين لموقف الحساب فلم نترك منهم أحدًا.

ويستفاد من الآية اللطائف التالية:

١) قوله: ﴿وَيَوْمَ﴾ المراد به يوم القيامة ولم يسمه الله وإنما ذكر أوصافه ترهيبًا للقلوب.

٢) قوله: ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ ذكرت الجبال دون غيرها من المخلوقات لصلابتها وقوتها فغيرها من باب أولى، وليكون أرهب للقلوب.

٣) قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ البروز يحتمل حالتين:

أ – ظهور الأرض من غير ساتر يسترها من جبال أو شجر أو أحجار أو غيرها لأن الله يجعلها دكًا، ويرجحه ما ذكره الله من تسيير الجبال.

ب – إبراز الأرض للناس على ظهرها بعد أن كانوا في بطنها، ويرجحه ما ذكره الله بعدما من حشر الناس.



٤) قوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ جاء الفعل بصيغة الماضي لتأكيد وقوع الحشر حتى كأنه مضى وانتهى.

٥) قوله: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي: فلم نترك في بطنها أحداً من الخَلَق، ولفظ: ﴿نُغَادِرْ﴾ يتضمن دقة الإحصاء وإحاطة علم الله.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: ٤٨].

وعُرِضوا جميعًا على ربك مصطَفِّين، فيقال لهم: لقد بعثناكم وجئتم إلينا فرادى كما خلقناكم أول مرة، بل ظننتم أن لن نجعل لكم موعدًا نبعثكم فيه ونجازيكم على أعمالكم.

❁ هذه الآية يستفاد منها اللطائف والفوائد التالية:

١) قوله: ﴿وَعُرِضُواْ﴾ يشعر بعظمة الله وضعف الخلق ؛ إذ يوحي اللفظ بأنها جنود تعرض على مالكها، وهذا السر في لفظ العرض دون غيره من الألفاظ.

٢) ذكر اسم الربوبية دون الألوهية ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ لأن السياق يقتضي ذكر الربوبية إذ فيه رجوع الخلق إلى ربهم الذي خلقهم أول مرة.

٣) إضافة الربوبية للنبي عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ يُشعر بالعناية بنبيه الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث كذبوه بخبر البعث والرسالة.

٤) يفيد قوله : ﴿صَفًّا﴾ أنهم غير مفترقين ولا مختلطين، فلا يخفى على الله منهم خافية، كما يشعر المصفوفين بالرهبة والهيبة والقيام استعداداً للعرض على الله.

٥) تغير الخطاب من الغائب ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى الحاضر ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ تأكيداً لقضية البعث وتنويعاً لأساليب إثباتها حتى كأنه مشاهد أمام عين القارئ سؤال الله لهم، ولهذا بدأت بحرف التوكيد ﴿لَّقَدْ﴾.

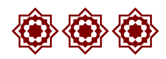
٦) يفيد قوله: ﴿جِئْتُمُونَا﴾ بتأكيد البعث إذ المجيء هو رجوعٌ بعد غياب، واتصلت بالفعل النون الدالة على العظمة فالله خلقنا وإلى الله مرجعنا.

٧) قوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حفاةً عراةً غرلاً، وتفيد ذهاب الأموال والمناصب والأنساب فلا ينفع شيء من دون الله.

٨) وإيراد قوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فيها تضمينٌ بالرد على منكري البعث بأنه خلقهم من قبل، فمن بدأ بالخلق فإعادته أهون عليه.

٩) قوله: ﴿زَعَمْتُمْ﴾ دليل على أن عقيدة الكافرين في إنكار البعث مبنيةٌ على الزعم، وكفى بها توهينـًا.

١٠) قوله: ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ أي: وقتـًا محدداً، وقول المشركين هنا فيه زيادة جحود وتألي على الله إذ أنهم زيادة على إنكارهم البعث نفوا عن الله أن يجعل لهم موعداً.



قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

ووُضِع كتاب الأعمال فتبصر أهل الإجرام خائفين مما فيه بسبب ما قدموه من جرائمهم، ويقولون: يا هلاكنا، ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرةً مِن أفعالنا ولا كبيرةً إلا أثبتها؟! ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبتًا، ولا يظلم ربك أحدًا مثقال ذرة فلا يُنقَص طائعٌ من ثوابه، ولا يُزاد عاصٍ في عقابه.

ويستفاد من الآية الفوائد واللطائف التالية:

١) قوله: ﴿وَوُضِعَ﴾ بصيغة الماضي ليؤكد الحساب وكأنه في حكم الواقع الذي وقع وقُضي.

٢) لفظ ﴿وَوُضِعَ﴾ يُشعر بأنه إلقاءٌ مع ضرب، وهذا أشد لإلقاء الهيبة في قلوبهم.

٣) قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ المراد به: كُتُبُ بني آدم التي كتب فيها أعمالهم، وكونه مكتوبـًا أتمَّ للحجة على الناس.



٤) قوله: ﴿فَتَرَى﴾ هذا خطاب لغير معين، أي: يراهم من يراهم وهم مشفقون، وذكر الرؤية لأن الإشفاق ظاهر عليهم يدركه من يراهم لذلتهم.

٥) الإشفاق في قوله: ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين، والسر في وصفهم بالإشفاق دون الخوف لأن خوفهم مشوبٌ بحذر مما في الكتاب فهو خوف معه علمٌ في قرارة أنفسهم.

٦) قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ جمعت كلمتهم هذه كل أنواع التوجع والتحسر والألم حتى أنهم أنزلوا الويل منزلة من يُنادَى، وقد رفعوا أصواتهم بالويل مع أن الحال يقتضي الإسرار لفظاعة الموقف.

٧) بدأوا بذكر الويل قبل ذكرهم ما في الكتاب ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لمناسبة يقينهم بالهلاك، فمن أيقن بهلاكه ندب حاله قبل ذكر سبب الهلاك.

٨) قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ استفهام لا يراد به السؤال وإنما التعجب وتعظيم الأمر، وهذا الذي يناسب حالهم تلك الساعة نعوذ بالله من الخذلان.

٩) قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ المراد جنس الكتاب، وجعل اللفظ مفرداً لأنهم جميعـًا وجدوا كتبهم لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها،فكأنهم جميعـًا نطقوا بذات الأمر.

١٠) قوله: ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أصلٌ في انقسام الذنوب إلى صغير وكبير، وأمثلة السلف التي يذكرونها في هذه الآية تتعلق بالشهوات من باب المثال.

١١) قدَّموا الصغيرة على الكبيرة ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ لأنهم تعجبوا من إحصاء الكتاب لصغائر الأمور دون كبارها فقدموها استعظامـًا.

١٢) قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فيها بيان عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله سبحانه عادلٌ في كتابته أفعال خلقه، وعادلٌ في جزائهم على أعمالهم.

١٣) ذكر اسم الربوبية ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ﴾ لأن الله يعامل عباده على المسامحة والتفضل عليهم وعدم جزائهم على جميع ذنوبهم، وهذا من تمام ربوبيته لهم وعنايته بهم سبحانه.



قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

المعنى: واذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم، تحية له لا عبادة، وأمرنا إبليس بما أُمِروا به، فسجد الملائكة جميعًا، لكن إبليس الذي كان من الجن خرج عن طاعة ربه، ولم يسجد كِبراً وحسدًا. أفتجعلونه -أيها الناس- وذريته أعوانًا لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم ألد أعدائكم؟ قَبُحَتْ طاعة الظالمين للشيطان بدلا عن طاعة الرحمن.

ويستفاد من الآية الكريمة اللطائف والفوائد التالية:

١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ تدل على تكريم الله لآدم عليه السلام.

٢) قوله تعالى ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ فيها سرعة استجابة الملائكة لأمر ربهم حيث رتَّب السجود بالفاء الدالة على التعقيب.

٣) قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الإبلاس هو: الإياس من الخير والندم والتحسر، ولعل هذا هو السر في ذكر إبليس بهذا الاسم دون اسم (الشيطان).

٤) قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ الاستثناء هنا نظراً لاجتنانه واختفائه عن المشاهدة، فكل ما خفي عن الأبصار فهو مستجن، وذكر النسب هنا تكبيتاً للشيطان لأن أصل عصيانه لربه اعتماده على نسبه.

٥) ذكر الفسوق في قوله: ﴿فَفَسَقَ﴾ ليفد بأن معصيته كانت خروجاً عن أمر الله، فمن خرج عن أمر الله فقد فسق.

٦) قوله: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ يفيد أن الفسق هو في أصله: خروج عن الأمر الرباني، وذكر الربوبية ﴿رَبِّهِۦٓ﴾ إلزاماً له بأنه فسق عن أمر من يربيه بالنعم، وفي ذلك قبحٌ عظيم.

٧) قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ استفهام للتوبيخ والإنكار، والفاء للتعقيب أي: أبعد أن عصى ربه وفسق عن طاعته تتخذونه ولي.



٨) قوله: ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الذرية تشمل ذريته للصلب وفي هذا دلالة على تكاثرهم، ويشمل أيضـًا أتباعه من الجن والإنس.

٩) قوله: ﴿مِن دُونِي﴾ حرف الجر يفيد أنهم اعتمدوا عليهم من دون الله، ومن أشرك مع الله شيئـًا تركه الله وشركه.

١٠) قوله: ﴿وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ يدل على شدة التحذير من عداوتهم بدلالة لام التخصيص ﴿لَكُمۡ﴾ وكذلك اللفظ المشبه بالمصدر ﴿عَدُوُّۢ﴾ وهو أبلغ من لفظ (أعداء).

١١) تذييل الآية بقوله: ﴿لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ لأن المشركين وضعوا الولاية والنصرة في غير موضعها الصحيح فأنزلوها بغير الله، وهذا أعظم الظلم.



قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف: ٥١].

المعنى: ما أحضرتُ إبليس وذريته خَلْقَ السموات والأرض فأستعين بهم على خلقهما، ولا أشهدتُ بعضهم على خَلْق بعض، بل تفردتُ بخلق جميع ذلك، وما كنت متخذ المضلِّين من الشياطين وغيرهم أعوانًا.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) احتج الله على المشركين بقضية الخلق التي أبدع فيها سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولا تزال صفة الخلق اليوم صالحة بأن تكون مسلمة ينطلق منها الداعية في دعوته.

٢) نفي الإشهاد ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ أبلغ في نفي الشريك عنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، إذ أنه نفى عنهم المشاهدة فغيرها من باب أولى.

٣) تكرار صفة الخلق في قوله: ﴿وَلَا خَلۡقَ﴾ لأن خلق أنفسهم أهون من خلق السموات والأرض بكثير.



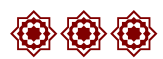
٤) ذكر النفس دون غيرها ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ ليحتج عليهم بأنهم مخلوقون، والمخلوق لا يكون إلهـًا.

٥) فعل الكون ﴿وَمَا كُنتُ﴾ يدل على انتفاء اتخاذ الله للشركاء في جميع الأوقات.

٦) بداية الآية تنفي شهودهم للخلق، ونهايتها تنفي اتخاذهم عضداً، ومن حكم اختلاف الفعل المنفي ليشمل النفي كل ما يتصور من أفعال الشريك من أدناها المشاهدة إلى أعلاها الإعانة.

٧) قوله: ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾ تخصيص هذا الوصف وإظهاره لبيان عظيم جرمهم في إضلال غيرهم، وفي هذا تحذير من أن يضل الإنسان غيره.

٨) قوله: ﴿عَضُدًا﴾ ينفي إعانتهم له سبحانه وتعالى، ولفظ العضد أشمل لنفي الاعتماد على المضلين في أدنى الأمور.



قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ [الكهف: ٥٢].

المعنى: واذكر لهم إذ يقول الله للمشركين يوم القيامة: نادوا شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي في العبادة؛ فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم، وجعلنا بين العابدين والمعبودين مهلكًا في جهنم يهلكون فيه جميعًا.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) والتناسب بين الآيتين ظاهر؛ فحيث أبطل عبادة المضلين ناسب أن يبطل عبادة جميع الشركاء من دونه ليشمل من عُبد وهو راضٍ وهو المضلّ أو عُبِدَ بغير رضاه.

٢) قوله: ﴿يَقُولُ﴾ نسب القول لنفسه المقدسة زيادة في تبكيتهم واستهزاءً بهم.

٣) قوله: ﴿شُرَكَآءِىَ﴾ أشمل من لفظ ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾ .



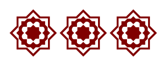
٤) تَغَيَّر الفعل آخر الآية فقال: ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ ولم يقل: فنادوهم، ليدل على أنهم لم يقتصروا على النداء وإنما دعوهم دعاءً خاصاً بأعيانهم، وطلبوا منهم الاستجابة.

٥) نفي الاستجابة في قوله: ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ يدل على عدم التفات الشركاء لشركائهم لهول الموقف فكأنهم لا يسمعونهم.

٦) يشمل قوله: ﴿مَّوْبِقًا﴾ أمرين:

اسم مكان: وهذا يدل على وجود مكان يهلك فيه الشركاء إما وادٍ في جهنم أو خندق بينهم يقعون فيه.

مصدر: وهذا يدل على وجود أمرٍ يهلكون فيه بعد عدم الاستجابة إما المخاصمة أو اللعان أو العداوة، ولكل احتمال شاهد من الآيات الأخرى.



قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣].

المعنى: وشاهد المجرمون النار فأيقنوا أنهم واقعون فيها لا محالة، ولم يجدوا عنها معدلا للانصراف عنها إلى غيرها.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

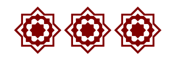
١) قوله: ﴿وَرَءَا﴾ يدل على رؤيتهم الحقيقية لها بأعينهم، وفي هذه الرؤية عذابٌ وألمٌ نفسي قبل أن يذوقوه حسياً.

٢) التنصيص على وصفهم ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يدل على أن إشهار هذا الوصف مقصود فبسبب إجرامهم استحقوا ذلك.

٣) الظن في قوله: ﴿فَظَنُّوٓا۟﴾ يدل على أن رؤيتهم لها كانت من مكان بعيدٍ فوقع في أنفسهم أنهم سيقعون فيها، أو يُحمل الظن على معنى اليقين وهو من اطلاقاته، وعلى كلا الأمرين هو عذاب نفسي لهم نسأل الله السلامة.

٤) لفظ المواقعة ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾ مصدر يدل على مبالغة الوقوع فكأنهم هم بأنفسهم يريدون الوقوع فيها.

٥) قوله: ﴿مَصْرِفًا﴾ يدل على يقينهم بدخولها لأنهم يعلمون أعمالهم، وهذا شاهد من أنفسهم.



قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤].

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

المعنى: ولقد وضَّحنا في هذا القرآن أنواعًا كثيرة من الأمثال ؛ ليتعظ بها الناس، وكان الإنسان أكثر الأشياء خصومة وجدالاً.

ويستفاد من الآية الكريمة الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ يدل على رحمة الله بعباده في تنويعه الأمثال لهدايتهم.

٢) تقديم قوله: ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ لأن الشأن في الآيات السابقة تتعلق بالقرآن وهو من مقاصد السورة كما في بدايتها.

٣) المَثَل في قوله: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يراد به المعاني، ففي القرآن أنواعٌ كثيرةٌ من المعاني من الترغيب والترهيب والقصص والأمثال المضروبة لهداية الناس.

٤) ختم الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ يدل على ذمِّ صفة الجدَل ؛ لأن الآيات قابلت تنويع الآيات بذكر الجدال.

٥) ناسب ختم الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ لأن الجدل هو المانع من انتفاع الإنسان لأمثال القرآن.

٦) قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ لأن سائر المخلوقات مستسلمة عابدةٌ لربها،



والملائكة مستمرة بالعبادة عن الجدل، والشياطين مستغنون بالإضلال والتزيين عن الجدال، أما الإنسان فإنه مجادل لأجل أن يقبل الحق، ومجادل في رد الباطل فكان أكثر شيء جدلاً إلا من رحم الله.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥].

المعنى: وما منع الناس من الإيمان - حين جاءهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستغفار ربهم طالبين عفوه - عدم البيان بل جاءتهم الآيات البينات، فلم يبقَ إلا أن تصيبهم سنة الله في إهلاك السابقين أو يصيبهم عذاب الله عِيانًا.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

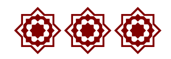
١) يدل قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ في الآية محذوف تقديره: ما منعهم من الإيمان عدم بيان آياتنا أو عدم وضوحها، وهذا يدل على أنه لا يوجد مانع يمنع الإنسان من الإيمان إذ كل ما في الكون يقوده إلى الإيمان بالله لكنه الاستكبار.

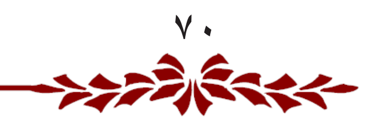
٢) إذ الفجائية في قوله: ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ لبيان أن اللحظة التي يصل فيها الهدى للإنسان هي لحظة الهداية؛ لأن الهدى كامل بيِّنٌ واضحٌ لا يحتاج إلى نظر وتفكر.

٣) قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ فيه حثٌّ للمشركين على الاستغفار، وذكر الربوبية ﴿رَبَّهُمْ﴾ لدلالة على أن من رباهم بنعمه هو أولى بالاستغفار والتوبة إليه.

٤) يدل قوله: ﴿تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ على أن سنة الله في الأمم المكذبة ماضيةٌ لا تتبدل ولا تتأخر.

٥) يدل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ على عناد بعض الأمم واستكبارها فلا تؤمن حتى يأتيها العذاب عَيَانـًا أمامها؛ حينها تؤمن ولا ينفعها إيمانها، وذكر المقابلة ﴿قُبُلًا﴾ للدلالة على عظيم استكبارهم حتى جاءهم العذاب مقابل وجوههم.





قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الكهف: ٥٦].

المعنى: وما نبعث الرسل إلى الناس إلا ليكونوا مبشرين بالجنة لأهل الإيمان والعمل الصالح، ومخوِّفين بالنار لأهل الكفر والعصيان، ومع وضوح الحق يخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعنتًا ليزيلوا بباطلهم الحق الذي جاءهم به الرسول، واتخذوا كتابي وما خُوّفوا به من العذاب سخرية واستهزاء.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) التناسب بين الآية والتي قبلها ظاهر إذ أنها بينت أن الرسل لم يرسلوا للجدال وإنما مبشرين ومنذرين.

٢) لفظ الإرسال ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يدل على أن الرسول لم يأتِ بشيء من تلقاء نفسه وإنما هو رسول بما أرسله الله به فلمِ الجدال ؟

٣) قُدِّمت البشارة على النذارة في قوله: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ دعوة لهم وترغيبـاً في قبول الحق.

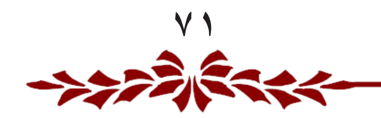
٤) صيغة الفعل المضارع في قوله: ﴿وَيُجَٰدِلُ ﴾ يدل على استمرارية جدال المشركين للحق، فلا تقنعهم البراهين ولا يعتبروا بسنة الأولين.

٥) قوله: ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ يدل على أن جدال الذين كفروا لا يُقصد من ورائه الاهتداء وإنما إبطال الحق وزعزعته.

٦) لفظ الدحض ﴿لِيُدْحِضُوا۟ ﴾ يشمل عدة صورٍ منها: زعزعة الحق والتشكيك فيه وبث الشبهات ؛ لأن المكان الدحض هو: الْمُزِلقُ الذي لا تثبت فيه قدم، ولهذا لم يقل: ليبطلوا به الحق.

٧) قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ﴾ يدل على استمرارهم بالاستهزاء والسخرية أبداً.

٨) بينت الآية عاقبة الجدال بالباطل أنه يورث ضعف اليقين في القلب، ولهذا قابلوا الآيات والإنذار بالاستهزاء المنافي ليقين القلب.



قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: ٥٧].

المعنى: لا أحد أشد ظلمًا ممن وُعِظ بآيات ربه فانصرف عنها إلى باطله، ونسي ما قدَّمته يداه من الأفعال القبيحة فلم يرجع عنها، إنَّا جعلنا على قلوبهم أغطية فلم يفهموا القرآن، ولم يدركوا ما فيه من الخير، وجعلنا في آذانهم ثقلاً فلم ينتفعوا به، وإن تَدْعُهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لك، ولن يهتدوا إليه أبدً.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) الآية تناسب ما قبلها إذ أنهم لما جادلوا بالباطل واتخذوا الآيات هزوا بيَّن الله أنه لا أحد أظلم ممن فعل ذلك.

٢) لفظ التذكير في قوله: ﴿ذُكِّرَ﴾ يدل على أن كل ما حول الإنسان من الآيات والبراهين يدله على الله؛ لكن الغفلة استحكمت فاحتاج للتذكير، فناسب هاهنا لفظ التذكير.

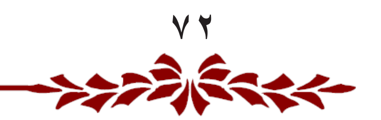
٣) فاء التعقيب في قوله: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ تدل على أن الشخص المعرض لم يعطِ نفسه وقتًا للنظر والتفكر، وفي هذا حثٌ على التأني والتبصر.

٤) قوله: ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يدل على إمهال الله للإنسان فلم يعاجله بالعقوبة، كما يدل على أنَّ معرفة الذنب وتذكره معينٌ للإنسان على التوبة .

٥) قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ فيه بيان سبب إعراضهم بأن جعل الله على قلوبهم أغلفة، وتقديم التذكير في قوله ﴿ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ يدل على أن الأغلفة بسبب إعراضهم عن آيات الله.

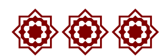
٦) بدأت الآية بذكر القلب لأهمية فقهه والجوارح تبعٌ له.

٧) عقوبة الله لهم بأكنَّةِ القلب ووقر الآذان من جنس كفرهم، فلما كان كفرهم بالإعراض مع أنهم ذُكِّروا فلم يتفكروا ناسب أن تكون عقوبتهم تغليف القلب بحيث لو أرادوا فقه الآيات لم يستطيعوا.



٨) قوله: ﴿أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ يدل على أن الآيات كلما ازدادت وضوحاً فلن يفقهها المعرض لوجود الغلاف على قلبه، وهذا السر في كون المعرضين لا يفهمون الآيات والعبر مع وضوحها.

٩) قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ يدل على أن أمر الله نافذٌ ومن لم يرد الله هدايته فلن يهتدي أبداً، واجتمع في الآية حرف النفي ﴿فَلَن﴾ والتأبيد ﴿أَبَدًا﴾ لتأكيد عدم حصول الهداية لمن لم يُرد الله هدايته.



قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف: ٥٨].

المعنى: وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا ذو الرحمة بهم، لو يعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجَّل لهم العذاب، لكن لهم موعدٌ يجازون فيه بأعمالهم، لا يجدون من دونه ملجأً يلتجئون إليه.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) لما كانت الآية قبلها في التهديد وبيان تغليف القلب لمن أعرض عن الذكر ؛ ناسب أن يتلوها ما يبين رحمة الله ومغفرته لمن تاب وأقبل على الله.

٢) لفظ الربوبية في قوله: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يشعر بمنزلة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربه، كما يفيد بالتذكير بتربية الله وإصلاحه لهم.

٣) قَدَّم: ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمناسبة الحال إذ الآية في مقام الحث على التوبة والاستغفار، وهي صيغة مبالغة لأن الله لا يتعاظمه ذنب سبحانه وتعالى.

٤) قوله: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ يدل على تَمَكُّن الصفة بدلالة ﴿ذُو﴾ الدالة على رسوخ الصفة في الموصوف، ورحمة الله وسعت كل شيء.

٥) جمعت الآية بين صفة المغفرة والرحمة ليبين أنه بعد ستره على عبده يرحمه، فيغفر له



بحلمه، ويرحمه بفضله وكرمه.

٦) صيغة المضارع في قوله: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾ ليبين استمرار عفوه وإمهاله في مستقبل الأيام، وتدل أيضاً أن حلم الله شمل الكافرين في عدم تعجيل عذابهم.

٧) قوله: ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ يدل على أن ما يصيب الإنسان إنما هو بما كسب، لأن الباء سببية، وفي هذا تربية على محاسبة النفس ومراجعة الذات.

٨) قوله: ﴿لَعَجَّلَ﴾ تدل على أن عقوبة المعاصي والذنوب معجلة لولا رحمة الله، ويؤيد هذا التخصيص في قوله ﴿لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾.

٩) قوله: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ يدل على أن الله يمهل للظالمين حتى يأتي موعد هلاكهم، فيعاملهم بحلمه ثم ببطشه.

١٠) قوله: ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ يدل على شدة بطش الله إذا نزل، وانتفاء وجود ملجأ من دونه، وتأكد ذلك بالنفي ﴿لَّن﴾ والجر ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وقوله: ﴿مَوْئِلًا﴾ وهي نكرة في سياق نفي فتفيد العموم.

١١) الموئل في قوله: ﴿مَوْئِلًا﴾ يفيد اضطرابهم وقلقهم ؛ إذ الموئل هو الملجأ الآمن الذي يستقر فيه اللاجئ، وهذا أحد الفروقات بين الملجأ والموئل.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩].

المعنى: وتلك القرى من عاد وثمود وقوم لوط وشعيب أهلكناها حين ظلم أهلها بالكفر، وجعلنا لهلاكهم ميقاتًا وأجلاً فأهلكناهم به.

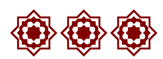
❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يدل على أن العرب كانوا يعرفون قرى ثمود وعاد ولوط والأمم من قبلهم، ولهذا خاطبهم وكأنها حاضرة في أذهانهم.

٢) ذكر ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ ليدل على أن عاقبة ظلمهم شملت دمار قراهم ومساكنهم ؛ ولهذا لم يقل: وتلك الأمم.

٣) قدَّم الهلاك في قوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ على الموعد في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ مع أن الموعد يسبق الهلاك ؛ لأن المقام يناسبه بيان العذاب والهلاك.

٤) قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ يبين أن كفرهم كان ظُلماً إذ وضعوا العبادة في غير موضعها الصحيح، ولهذا جاءت الآية بالظلم وليس بالكفر مثلاً.



قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠].

المعنى: واذكر حين قال موسى لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمنًا طويلا حتى أصل إلى العبد الصالح ؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ المراد به: خادمه، ففيه جواز اتخاذ الخدم للإعانة وقضاء الحاجات، وكونه فتى يدل على قوته وصغر سنه ليقوم بالمهام على أكمل وجه.

٢) قوله: ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يدل على أن المكان الذي يقصده موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو التقاء بحرين، وتدل أيضـًا على بُعْدِ المكان كما في سياق القصة، ولم تحدده الآية وما يذكره أهل التفسير إنما هي اجتهادات، ووجود الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند هذا المكان لعل القصد منه رؤية ملكوت الأرض وما فيها من عجائب وهي عند البحار أكثر منها في غيرها.

٣) **في الآية العديد من الفوائد، منها:**

التصميم والعزم على المراد الشاقّ لقوله: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾.

وفيها: التصريح بالعزم والإصرار لمن يصاحبه كما صرَّح موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفتاه شحذاً له على الهمة وتيئيسـًا له من الرجوع.



وفيها: رحلة العالم في طلب الزيادة من العلم.

وفيها: اغتنام لقاء العلماء وإن بعدت أقطارهم وديارهم.

وفيها: ترك الدعوة قليلاً لتزود من العلم كما ترك موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تعليم بني إسرائيل في سبيل التزود من العلم النافع.



قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: ٦١].

المعنى: فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين نسيا حوتهما، فإذا الحوت يصبح حيًّا ويتخذ له فيه طريقًا مفتوحًا.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ يدل على وصول المؤمن لما عزم إليه من فعل الخير، كما يدل على أن عاقبة الإصرار هي الوصول للمراد بتوفيق الله.

٢) قوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ إضافة النسيان إليهما مع أن الناسي هو الفتى لأن الطعام كان لهما؛ ولأن الفتى نسي الحوت حين ذهب للبحر، وموسى نسي سؤال الفتى عنه.

٣) قوله: ﴿حُوتَهُمَا﴾ فيه إطلاق اسم الحوت على السمكة؛ فالمراد بالآية سمكة كبيرة كانت في مكتل فتى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحملها معه ليأكلا منها، ويدل أيضًا على اتخاذ الزاد في السفر وأن هذا من طبيعة بني آدم السوية.

٤) قوله: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ المراد: أن الحوت أحياه الله فانتقل من المكتل إلى البحر، وشق طريقه في البحر بمعجزةٍ بأن أمسك الله جريان الماء عليه فأصبح دخوله في البحر فتحةً كالْجُحرِ في الأرض، وهذا من عظيم قدرة الله.



قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢].

المعنى: فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالجوع، قال لخادمه: أحضر إلينا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا.

ويستفاد من هذه الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ يدل على علو همة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تحصيل مطلوبه فإنه تجاوز المكان ولا زال مستمراً في السفر.

٢) قوله: ﴿غَدَآءَنَا﴾ هو الطعام الذي يؤكل في الغداة نهاراً، وقد يستنبط من طلب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن الإنسان يحتاج إلى أكل النهار أشد من حاجته إلى أكل الليل.

٣) قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ يدل على قوة صبر وتَحمُّل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ السفر إذ مع طول سيره لم يحس بألم الجوع إلا بعد مجاوزته المكان، ومن وراء ذلك همةٌ عالية.

٤) قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ فيه تواضع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أكله مع خادمه، ولهذا نسب الغداء لهما جميعـًا.

٥) قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ يدل على إخبار الإنسان بما يُحسُ به من ألم الجوع والتعب.

الجُزْءُ الخَامِسَ عَشَرَ — سُورَةُ الكَهْفِ

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا
وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن
تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾



قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣].



المعنى: قال له خادمه: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان، فإن الحوت اتخذ له في البحر طريقًا، وكان أمره مما يُعْجَبُ منه.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

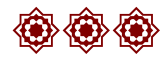
١) قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ يدل على أن تقديم العذر حال المخالفة أولى من الابتداء بها كما فعله فتى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٢) قوله: ﴿أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ فيه الدلالة على استراحة المسافر ليأخذ قسطًا من الراحة ولئلا يشق على من معه، وفيه أيضًا تعاهد المكان المناسب للراحة كما فعل موسى.

٣) قوله: ﴿نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ يدل على أن فتى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقع في نسيانين، فقد نَسِيَ حفظ الحوت ونَسِيَ أن يذكر ذلك لموسى.

٤) قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ نصٌّ صريح أن النسيان من الشيطان، كما يدل أسلوب الحصر ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا﴾ على التماس العذر من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فكأنه يقول: لا يوجد مبرر لنسياني إلا فعل الشيطان وإلا فإنه أمرٌ لا ينسى.

٥) قوله: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ يدل على استعظام فتى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نسيانه ذِكْرُ ذلك لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فجاء بالفعل ﴿أَذْكُرَهُۥ﴾ دون المصدر فلم يقل: وما أنساني إلا الشيطان ذكره.

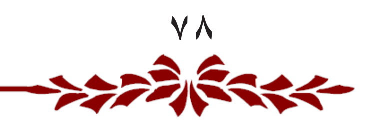


قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤].

المعنى: قال موسى: ما حصل هو ما كنا نطلبه، فرجعا يقصان آثار مشيهما حتى انتهيا إلى الصخرة.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

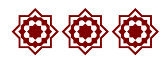
١) قول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ يدل على كريم خلق موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلم يُعنِّف ويوبخ الفتى على نسيانه مع ما هو عليه من الجوع.



٢) قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾ يدل على أن الله هيأ لكل شيءٍ سبباً، فنسيان الفتى الحوت كان سبباً في تحصيل مبتغى موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

٣) تدل الآية على أن في بواطن ما يكره العبد خيراً له، فالفتى نسيَ الحوت وظاهر هذا النسيان شرٌ عليهما لما يصيبهما من ألم الجوع، إلا أنه خيرٌ في حقيقة الأمر كان خيراً لهما في الوصول إلى المبتغى فلا يقدر الله على العبد إلا خيراً.

٤) قوله: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ يدل على أن المسافة التي قطعاها بعد مجاوزة الصخرة لم تكن بعيدة لأنهما رجعا يقصان آثارهما.



قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ [الكهف: ٦٥].

المعنى: فوجدا هناك عبدًا صالحًا من عبادنا هو الخَضِر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، آتيناه رحمة من عندنا، وعَلَّمْناه مِن لدنَّا علمًا عظيمًا.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا﴾ يدل على أن مقام العبودية مقام شرف، حيث وصف الله عبده الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بها في مقام الثناء.

٢) قوله: ﴿عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ يدل على أن لله من العباد ما لا يعلمهم إلا الله، ولكل منهم عبوديته التي فتح الله بها عليه.

٣) قوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ يدل على عظيم الرحمة التي آتاها الله للخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ حيث جاءت الآية بلفظ الإيتاء ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾ الدال على أنه محض فضلٍ، وكذلك قدَّم لفظ الرحمة على الجار والمجرور ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾، وأيضـًا لفظ العِنْدِية الدال على اختصاص الفضل ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾ وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

٤) قوله: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ يدل على عظيم العلم الذي رزقه الله للخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛



حيث نسب التعليم لنفسه سبحانه ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ﴾ وميَّز العلم بكونه من لَدُنِ الله وهو لفظ يشعر بالقرب والمعية، وأكدَّ العلم بإعادة لفظه ﴿عِلۡمٗا﴾.

٥) دلت الآية على أن منزلة الرحمة والعلم من مقامات العبودية لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فمن تمام العبودية اكتمال الرحمة والعلم لدى العبد.

٦) قرنت الآية بين الرحمة والعلم لكون العلم يورث الرحمة بالخلق ويستجلب رحمة الرب، وقُدِّمت الرحمة على العلم لأنها كالتهيئة له، فالعلم يكتمل حينما يكون على عبد رحيمٍ مرحوم، كما يشعر بكونك لا تجد العالِم إلا رحيماً.



قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف: ٦٦].

المعنى: فسلَّم عليه موسى، وقال له: أتأذن لي أن أتبعك؛ لتعلمني من العلم الذي علمك الله إياه ما أسترشد به وأنتفع؟

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ يدل على فضيلة اتباع أهل العلم للاستفادة منهم، وفيه حُسنُ العرض في طلب الاتباع كما قال موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿هَلۡ﴾.

٢) قوله: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ يدل على ترويض النفس على الاتباع في سبيل العلم حتى لأصحاب المنازل.

٣) قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ يدل على المشارطة في سبيل العلم.

٤) قوله: ﴿عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ تخصيص موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ العلم بالراشد يدل على حرصه على العلم النافع تحديداً، فلا يريد اتباعه لمعرفة غرائب العلم وإنما الراشد من العلم.

٥) الآية دليلٌ على أن فوق كل ذي علمٍ عليم، والله بكل شيءٍ عليم.



قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨].

المعنى: قال الخَضِر: إنك يا موسى لن تطيق أن تصبر على اتباعي وملازمتي، وكيف لك الصبر على ما لم تحط بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله ؟

ويستفاد من الآيتين الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فيه نفي الصبر عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث أكَّدَهُ بنون التوكيد وكاف التخصيص ﴿إِنَّكَ﴾ وزيادة النفي بـ ﴿لَن﴾ وجعل الصبر نكرةً في سياق نفي فَتَعُمُّ أي صبرٍ ولو قلَّ، وهذا كله لعلم الخضر بالحال.

٢) قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ فيه تبريرٌ لعدم صبر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والتماسٌ للعذر له، ففيه رفق المعلم بتلميذه.

٣) قوله: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ يدل على أن كل من لم يصبر فإنما هو لفوات إحاطته بالأمر، فكلما كان الشخص محيطاً بأمره وعواقبه زاد صبرهُ.

٤) يُحتمل أن يكون قول الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في الآية الكريمة من باب شحذ همةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للصبر والتحمل، وفي ذلك تربية المعلم لطلابه على روح التحدي.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: ٦٩].

المعنى: قال له موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما أراه منك، ولا أخالف لك أمرًا تأمرني به.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ يدل على معرفة الإنسان بقدراته وصفاته.

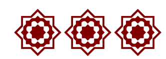
٢) قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه تعليق الفعل بالمشيئة استعانةً بالله وتوكلاً عليه، ولهذا قدَّم المشيئة على ذكره لصبره.



٣) قدَّم الصبر على عدم عصيان الأمر في قوله: ﴿صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي﴾ لأنه يعلم أن همة معلمه منصرفةٌ إلى رغبته في الصبر أكثر منها إلى تنفيذ أوامره.

٤) تدل الآية على أن متابعة التلميذ لمعلمه مما يُحتاج فيه إلى الصبر والمجاهدة.

٥) علَّق موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الصبر على المشيئة ولم يعلق عدم العصيان عليها ؛ لأن الصبر من الأعمال القلبية التي لا يعلم الإنسان حقيقتها إلا حين وقوعها، بخلاف عدم العصيان فإن الله أخبره أن الخضر عبد آتاه الله علماً.



قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ [الكهف: ٧٠].

المعنى: فإن اتبعتني الآن فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستنكره، حتى أذكرها لك وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي﴾ يدل على استجابة المعلم حين يرى إصرار المتعلم وعزمه.

٢) قوله: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾ يدل على أدب عدم مبادرة المعلم بالسؤال حتى يكون الابتداء من قِبَلِهِ، وفيه التأني في الاعتراض على المعلم القدوة.

٣) السؤال المنهي عنه في قوله: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾ هو السؤال عن تبريرات ما يراه موسى من أفعال الخضر، وليس السؤال الذي هو مفتاح العلم فإنه لا يُنهى عنه في مقام العلم

٤) موافقة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على اشتراط الخضر دليلٌ على نزول المتعلم عند رغبة معلمه ولو خالف مراده.

٥) قوله: ﴿أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ يدل على أن ترك المعلم ليتحدث بما لديه في الوقت الذي يختاره يحصل للمتعلم من الفائدة أكثر من لو بادره بالسؤال.



📖 **قوله تعالى:** ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف: ٧١].

المعنى: فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت بهما سفينة فركبا فيها، فلما ركبا خرقها الخضر، فقال له موسى: أَخَرَقْتَ السفينة لتُغرِق أهلَها ؟ لقد فعلت أمرًا منكرًا.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ يدل على أن ركوب الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان مقصوداً لأجل أن يخرقها بدليل مبادرته إلى الخرق حال ركوبه.

٢) قوله: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ يدل على أن المسلم يحكم على الأعمال من خلالها ظاهرها، فظاهر عمل الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه يريد إغراق أهل السفينة.

٣) الاستفهام في قوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ استفهام إنكاري، يراد به الإنكار على الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فعلته.

٤) قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: عظيماً فضيعاً، وهذا يدل على عظيم استنكار الأنبياء للمنكرات.

٥) قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ يدل على أن إحسان الظن لا يطلبُ في كل الأحوال، فظاهر فعل الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يقبل إحسان الظن.



📖 **قوله تعالى:** ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف: ٧٢].

المعنى: قال له الخَضِر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لقد قلت لك من أول الأمر: إنك لن تستطيع الصبر على صحبتي.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ﴾ فيه تذكير مَن خالف الشرط بمخالفته، فقد اشترط الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عدم السؤال.

٢) تدل الآية على صدق حدس الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ لم يصبر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنه يعلم أن الأنبياء لا يقرون المنكرات.

۞۞۞

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الكهف: ٧٣].

المعنى: قال موسى: لا تؤاخذني بنسياني شرطك عليَّ، ولا تكلفني مشقةً في تعلُّمي منك.

۞ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ يدل على سرعة سريان النسيان للإنسان، كما يدل على أن النسيان عذرٌ.

٢) قول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيه حسن بذل الاعتذار والاعتراف بالخطأ، ولهذا بدأ بعدم المؤاخذة بنسيانه.

٣) قوله: ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ يدل على التيسير في جانب الصحبة، كما يدل على أن تعسير المعلم سببٌ لنفرة طلابه منه.



قوله تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الكهف: ٧٤-٧٥].

المعنى: فانطلق موسى والخضر عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ حتى إذ أبصرا غلامًا فقتله الخَضِر، فأنكر موسى عليه وقال: كيف قتلت نفسًا طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف ولم تقتل نفسًا حتى تستحق القتل بها؟ لقد فعَلْتَ أمرًا منكرًا عظيمًا.

الجزء السادس عشر — سورة الكهف

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾



قال الخَضِر لموسى: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً على ما ترى من أفعالي؟

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ دليلٌ على قبول الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عذر موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا من لطيف الأخلاق.

٢) قوله: ﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ﴾ فيه المبادرة إلى إنكار المنكر، والاستفهام للإنكار.

٣) وصف النفس بكونها ﴿زَكِيَّةَۢ﴾ لأن الغلام لم يكتب عليه التكليف؛ فلم يتدنس بالخطايا والذنوب، فترك الذنوب تزكية.

٤) الآية تدل على تحريم قتل النفس بغير حق وهذا مما اتفقت عليه الشرائع السماوية.

٥) الآية دليل على القصاص في القتل لقوله: ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾.

٦) قال موسى حال حادثة القتل: ﴿شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ بخلاف خرق السفينة مما يدل على فضاعة القتل وإزهاق الأنفس.

٧) قوله: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ﴾ دليل على شدة إعذار الخضر لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولهذا قال ﴿لَّكَ﴾ بخلاف المرة الأولى، وفي هذا اختلاف الإنذار حال تكرار الخطأ.

۞۞۞

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦﴾ [الكهف: ٧٦].

المعنى: قال موسى له: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني، قد بلغتَ العذر في شأني ولم تقصر.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ﴾ فيه حياءُ المتعلم من معلمه حال المخالفة.

٢) لم يعتذر موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالنسيان مع أنه نسيَ الشرط في حقيقة الأمر؛ لأنه لا يليق



بالإنسان أن يعتذر بنفس العذر أكثر من مرة فإن ذلك مدعاة لئلا يقبل عذره.

٣) في الآية حسن اعتذار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتخلصه من مخالفته بأن شرط على نفسه قبل أن يبادره الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٤) قوله: ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِي﴾ يدل على أدب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث نسب عدم المصاحبة لمعلمه، فلم يقل: فلا أصاحبك.

٥) قوله: ﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾ فيه حسن التماس العذر من الطالب لمعلمه، والاعتراف بفضله وعفوه لقوله: ﴿لَّدُنِّي﴾ ويعني بها: خاصة نفسي.



قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف: ٧٧].

المعنى: فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية فطلبا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، فوجدا فيها حائطًا مائلا يوشك أن يسقط، فعدَّل الخَضِر مَيْلَه حتى صار مستويًا، قال له موسى: لو شئت لأخذت على هذا العمل أجرًا تصرفه في تحصيل طعامنا حيث لم يضيفونا.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ فيه قبول اعتذار من اعتذر وعدم التشديد عليه.

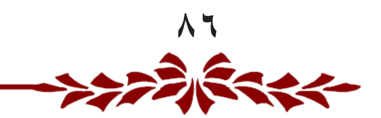
٢) كان موسى والخضر عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ في البحر ثم انطلقا للبر فلله حِكَماً في البر والبحر.

٣) قوله: ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ يدل على أن طلب الطعام من الغير وقت الحاجة.

٤) ذُكر أهل القرية في قوله: ﴿أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ ولم يقل: استطعموهم ؛ تشنيعاً عليهم باللؤم.

٥) الآية دليل على سعة رزق الله إذ لم يمنع أهل قريةٍ لئام رِزْقَه.

٦) قوله: ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ لم يقل: فأبوا أن يطعموهم، ليبين أن للضيف حقاً في الضيافة.



٧) قوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ يدل على بذل المعروف لمن ليس بأهلٍ له كما فعل الخضر وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ مع أهل القرية.

٨) قوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ يدل على أن الجدار لو انقض لظهر الكنز وأخذه أهل هذه القرية اللئام، وأقامه الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لئلا يقع إلا بعد سنوات وقد بلغ الغلامين أشدهما.

٩) قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فيه أدب اعتراض المتعلم مع معلمه حيث ابتدأ الاعتراض بقوله: ﴿لَوْ﴾ ثم أسند المشيئة له ﴿شِئْتَ﴾.

❁❁❁

📖 **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف: ٧٨].

المعنى: قال الخَضِر: هذا وقت الفراق بيني وبينك، سأخبرك بما تؤول إليه أفعالي والتي لم تستطع على ترك السؤال عنها صبراً.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

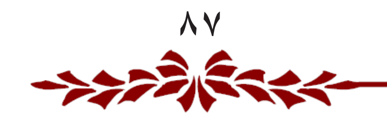
١) قوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ يدل على أن من اشترط شيئـًا على نفسه أُلزم بشرطه، فموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اشترط على نفسه بالفراق فألزم به.

٢) في القصة دلالةٌ على أن عدم الصبر يحرم الإنسان العلم؛ فلو صبر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكان أنفع لعلمه.

٣) قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ يدل على لوم الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لعدم صبر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

❁❁❁

📖 **قوله تعالى:** ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف: ٧٩].



المعنى: أما السفينة التي خرقتها فكانت لأناسٍ مساكين يعملون في البحر عليها سعيًا وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الخرق؛ لأن أمامهم ملكًا يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا من أصحابها.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ أي: ضعفاء من حيث المال، ولفظ المسكنة يوحي بالرقةِ لحالهم.

٢) قوله: ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ يدل على بذل الأسباب في تحصيل الأرزاق، فهؤلاء المساكين عالجوا فقرهم بالعمل والتكسب.

٣) سماهم الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مساكين مع أن لديهم مصدراً مادياً يتكسبون من خلاله، فليس شرطاً للمسكين ألا يكون له عمل.

٤) يدل قوله: ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ على جواز التجارة مع المخاطرة كما في ركوب البحر.

٥) قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ نسب إرادة تعييبها لنفسه مع أن فعله بأمر الله، وذلك أدباً مع الله.

٦) قوله: ﴿وَرَآءَهُم﴾ أي: أمامهم، وهو يفيد بأن الْمَلِك يحيط بهم ويأخذ كل سفينة صالحة لاتساع ملكه؛ فناسب أن يكون اللفظ ﴿وَرَآءَهُم﴾ ليفيد الإحاطة.

٧) قوله: ﴿مَّلِكٞ﴾ يدل على أن الغِنى غنى النفس وإلا ما تغني سفينة لِمَلِكٍ يملك بلاداً واسعة؟

٨) تنكير لفظ ﴿مَّلِكٞ﴾ تشنيعاً عليه واحتقاراً له.

٩) سخّر الله للمساكين من يحفظ مالهم، ففي بلاد الظلم والطغيان يسخر الله لعباده من يحفظ حقوقهم، والله على كل شيء قدير.



قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠﴾ [الكهف: ٨٠].

المعنى: وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافرًا، وكان أبوه وأمه مؤمِنَيْن، فخشينا لو بقي الغلام حيًا لَحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتهما إياه أو للحاجة إليه.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) الغلام لم يكن مؤمنًا بدليل قوله: ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

٢) في الآية حفظ الله لإيمان أوليائه من الإفساد كما حفظ إيمان الوالِدَين من طغيان ابنهما.

٣) قُدِّم في الآية إيمان الأبوين على خشية إرهاق ابنهما لهما؛ للتنبيه أن حفظهما كان لإيمانهما.

٤) قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: علمنا كما فسرها السلف؛ ولذلك شواهد في اللغة.

٥) قوله: ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يحتمل المراد: أن يحملهما على الكفر لفرط محبة الوالدين لابنهما الوحيد، ويحتمل أن يشتد عليهما بطغيانه وأفعاله الكفرية.

٦) جُمع للابن الطغيان والكفر ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لأن الغلام سيستعمل طغيانه وقسوته وتجاوزه للأفعال الطبيعية في سبيل أن يجعل والديه كافرين على دينه؛ فجمع الآية بين مبتدأ أفعاله ومآلها.



قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف: ٨١].

المعنى: فأردنا أن يُبْدِل الله أبويه بمن هو خير منه صلاحًا ودينًا وبرًا بهما.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يدل على تعويض الله للمؤمن لما يفوته من دنياه.

٢) فيه أن دلالة اسم الرب تستلزم عنايته بعبده ورعايته له، ولهذا قال الخضر عليه السلام كما في الآية: ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

٣) الاقتران بين الزكاة والبر في قوله: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ يدل على أن من تزَّكى أصبح رحيمًا بوالديه.

٤) قوله: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحيم بوالديه؛ وهذا يدل على أن الرحيم خيرٌ عند الله من القاسي الجبار.



📖 **قوله تعالى:** ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٨٢].

المعنى: وأما الحائط الذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين، وكان تحته كنز لهما من الذهب والفضة، وكان أبوهما رجلا صالحًا، فأراد ربك أن يكبَرا ويبلغا قوتهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك بهما، وما فعلتُ يا موسى جميع الذي رأيتَني فعلتُه عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله، ذلك الذي بَيَّنْتُ لك أسبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ يدل على حفظ الله لضعفاء المجتمع، فالجدار ليتيمين، والسفينة لمساكين.

٢) قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ يدل على أنه لا تلازم بين الْيُتمِ والفقر، فقد كان لهما كنز من ذهب وفضة، ولو انهدم الجدار.

٣) قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾ يدل على أن صلاح الآباء من أسباب حفظ الأبناء في حياة آبائهم وبعد مماتهم ،وفعل الكينونة ﴿وَكَانَ﴾ تدل على ثبات صلاح أبيهما.

٤) قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ نسب الإرادة لله سبحانه أدبًا لأنها إرادة لأمر فيه خير لهما، وذكر الربوبية في قوله: ﴿رَبُّكَ﴾ يفيد تربيته لهما وعنايته بحالهما سبحانه.

٥) قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ مما استدل بها على نبوة الخضر عليه السلام إذ أنه جعل فعله عن أمر ربه وهو وحيه.

٦) قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يدل على أن رحمة الله قد تأتي في ظاهرٍ من الأمر لا يدل عليها، ففي خرق السفينة وقتل الغلام مفسدة ظاهرة إلا أن حقيقتها الرحمة.

٧) قوله: ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ حذفت التاء لأن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد استبيانه حقيقة

الأمور زال إنكاره وخفَّ ما لديه من استغراب اكتنفه فناسب حذف التاء، بخلاف أول الأمر فقد قال الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مَا لَمْ تَسْطِع﴾ لمشقة الأمر على موسى عليه فناسب إثبات التاء.



قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣].

المعنى: ويسألك هؤلاء المشركون عن خبر ذي القرنين، قل لهم: سأقصُّ عليكم منه ذِكْرًا تتذكرونه وتعتبرون به.

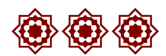
ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ يدل على أن مَن سأل كان على أثارةٍ من علم، ولعل علماء أهل الكتاب كانوا وراء السؤال.

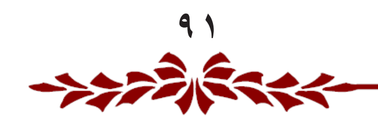
٢) قوله: ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ يدل على أنه عربيٌ؛ إذ أن ﴿ذِى﴾ من خصائص العرب، وتحديداً عرب اليمن، واختلف المفسرون في سبب لقبه وكلها اجتهاداتٌ محتلمة وأقربها أنهما قرنان من شعر الرأس.

٣) اختلف المفسرون في زمان ذي القرنين ولا دليل على التحديد إلا أن المحتمل أن زمانه بعد زمن نبوة، فمثل هذه الشخصية العظيمة متربية على آثار نبوة.

٤) قوله: ﴿ذِكْرًا﴾ يدل على أن مقصد قصص القرآن إنما هو التذكر، وكونه جعل المتلو نفسه ذكراً يفيد المبالغة في أن قصة ذي القرنين فيها من التذكر الشيء العظيم.



قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٤-٨٥].



الجزء السادس عشر — سورة الكهف

إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا ﴿٨٤﴾ فأتبع سببا ﴿٨٥﴾ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ﴿٨٦﴾ قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ﴿٨٧﴾ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ﴿٨٨﴾ ثم أتبع سببا ﴿٨٩﴾ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴿٩٠﴾ كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ﴿٩١﴾ ثم أتبع سببا ﴿٩٢﴾ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ﴿٩٣﴾ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ﴿٩٤﴾ قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ﴿٩٥﴾ آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا ﴿٩٦﴾ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴿٩٧﴾

المعنى: إنا مكَّنَّا له في الأرض وآتيناه من كل شيء أسبابًا وطرقًا يتوصل بها إلى ما يريد، فأخذ بتلك الأسباب والطرق بجدٍ واجتهادٍ.

❁ ويستفاد من الآيتين الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ﴾ مكَّن الله له فملك الدنيا ودانت له الملوك والله يؤتي ملكه مَن يشاء، ولفظ التمكين يدل على شدة ملكه وقوة سطوته.

٢) قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يفيد أن الأرض كلها دانت له.

٣) قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يدل على أن لكل شيءٍ سببـًا، فالتمكين في الأرض له أسبابه، فهذه سنة الله في الحياة فمن عرفها فقد أتى الأمور من أبوابها.

٤) قوله: ﴿سَبَبًا﴾ المراد: آتى الله ذي القرنين علمـًا وفهمـًا يتوصل به إلى معرفة الأشياء، وقد خصه جماعة من السلف بالعلم ؛ لأنه مفتاح كل شيء، وهذا تأكيد منهم على أهمية العلم حتى في الغزو والتمكين في الأرض.

٥) قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يدل على أن ذي القرنين عمل بالأسباب التي أعطاه الله إياها وأحسن استغلالها، وفي ذلك تربية لنا باستغلال ما لدينا من أسباب وقدرات.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٦].

المعنى: حتى إذا وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس وجدها تغرب في عينٍ حارةٍ ذات طين أسود، ووجد عند مغربها قومًا، قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذبهم بالقتل أو غيره إن لم يقروا بتوحيد الله، وإما أن تحسن إليهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ المراد: أنه وصل إلى أقصى ما يسلك فيه طريقًا من ناحية مغرب الأرض.

٢) قوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ تدل على أن الشمس تغيب في مكانٍ فيه ماء وطين سواءاً قيل بأن المراد بقوله: ﴿عَيْنٍ﴾ العين المعروفة أم البحر المحيط وهو من إطلاقاته في اللغة.

٣) قوله: ﴿قَوْمًا﴾ التنكير لبيان أنهم أمة غير معروفة السيرة والعقيدة.

٤) قوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أظهر دليل لمن قال بنبوة ذي القرنين، وأجاب أهل العلم عن ذلك بأجوبةٍ، وكثيرٌ منها فيها تكلفٌ، والله أعلم.

٥) قوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ دليل على أن أهل تلك الجهة لم يكونوا مسلمين، ولفظ العذاب يشمل كل صور العذاب وأشدها القتل.

٦) قوله: ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ هذا الأسلوب يدل على الحث على اتخاذ هذا الأسلوب وتفضيله على العذاب، ولهذا أُطلق عليه المصدر ﴿حُسْنًا﴾.

٧) قال للفئة الظالمة ﴿تُعَذِّبَ﴾ ولم يقل للفئة المؤمنة: ترحم، وإنما قال: ﴿تَتَّخِذَ﴾ ليبين أن اتخاذ الأسلوب الحسن سيبقى خالداً في قلوبهم أكثر من بقاء العذاب.

٨) قدَّم العذاب إنجازاً لشأنه وليكون التفصيل في شأن غيره، ولهذا جاء العذاب مختصراً، وجاءت الرحمة مفصلة.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: ٨٧].

المعنى: قال ذو القرنين: أمَّا مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه فسوف نعذبه في الدنيا بالقتل أو غيره، ثم يرجع إلى ربه فيعذبه عذابًا عظيمًا في نار جهنم.



ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) سمى ذو القرنين الكفر ظلماً في قوله: ﴿ظَلَمَ﴾ لأن الكفر أظلم الظلم.

٢) تدل الآية على أن ذي القرنين يحارب لأجل توحيد الله فقط، وتعبيد الناس لربهم.

٣) نلاحظ في الآية تأني ذو القرنين في جانب من ظلم نفسه ولهذا أتى بحرف التسويف ﴿فَسَوْفَ﴾ والذي يدل على فتح باب التوبة.

٤) قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ يدل على إيمانه باليوم الآخر وهذا مما اتفقت عليه الأمم.

٥) قوله: ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ يدل على شدة عذاب الله، ويدل على أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، ولهذا وصفه بالنُكر.

٦) ذُكر الربوبية في قول ذي القرنين: ﴿رَبِّهِۦ﴾ إلماح إلى أن كفر الكافر ليس له تبرير؛ لأنه كَفَرَ بربه الذي يربيه بنعمه.



قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٨].

المعنى: وأما مَن آمن منهم بربه فصدَّق به ووحَّده وعمل بطاعته فله الجنة ثوابًا من الله، وسنحسن إليه ونلين له في القول ونيسِّر له المعاملة.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يدل على أن العمل الصالح من الإيمان، فلم يكتفِ ذو القرنين بتلفظهم بالإيمان وإنما حتى يقرنوا معه العمل الصالح.

٢) قوله: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ويحتمل الجزاء الحسن في الدنيا أو الآخرة، وظاهر الآية يدل على أن المراد به: الجنة؛ وهو قول السلف، وقدَّم الجزاء عند الله ترغيباً ولأن همة المؤمن معلقةٌ بما عند الله أولاً.

٣) قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ يشمل كل قولٍ لينٍ ويسير، ومنه ما ذكره السلف من تعليم ذي القرنين لهم معالم الدين بيسرٍ وسهولة.

٤) تقديم الأمر على اليسر في قوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ ليشمل جميع الأمور والأحوال، فاليسر لمن آمن يشمل سائر حياته وشأنه.

٥) هذا القول من ذي القرنين يدل على عدله وسيرته الصالحة مع أهل البلدان.

٦) ذو القرنين خيَّر أهل المغرب مما يدل على أن هناك أمةً تعقل الخطاب وتفهم المقصود ولديهم إرادة وعزيمة، ولعل هذا سبب بدء رحلة ذي القرنين لمغرب الشمس.



قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾ [الكهف: ٨٩-٩٠]

المعنى: ثم سار وسلك طرقًا ومنازل، حتى إذا وصل إلى مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترهم، ولا شجر يظلهم من الشمس.

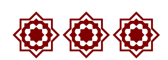
ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ فيه تأكيدٌ على استعمال الأسباب وحسن استغلالها.

٢) قوله: ﴿لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾ أي: لا شيء يستر بينهم وبين الشمس ويحتمل ذلك لفقرٍ في البيئة، فلا يوجد شجرٌ أو جبالٌ أو بناءٌ لهم، ويحتمل أيضًا فقرهم المادي فلا شيء يستر عوراتهم.

٣) عدم الستر عند مطلع الشمس يدل على اجتماع الفقر والجهل فيهم، وهنا يظهر الفرق بين الأمم عند مطلع الشمس وعند مغربها.

٤) عدم الستر عند تلك الأمة يدل على أنها أمةٌ وثنية فكثيراً ما يرتبط الشرك بالعُري.





قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ [الكهف: ٩١-٩٢].

المعنى: كذلك وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علماً لا يخفى علينا ما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم، ثم سار وسلك الطرق والمنازل والأسباب التي أعطاها الله إياه.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المراد: كذلك فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب.

٢) قوله: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾ يفيد ألا يعتمد الإنسان على الأسباب، فمع كثرة الأسباب التي هيأها الله لذي القرنين بيَّن الله أنه أحاط بها كلها وأنها لا تعمل إلا بإذن الله.

٣) قوله: ﴿بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ يرجع إلى ما لدى ذي القرنين من الجنود والآلات والثروة والأسباب التي يصل بها، وهذا يفيد استغلال جميع الأسباب وتحصيلها.

٤) قوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يفيد عدم الركون إلى الفتوحات والاستمرار في نشر الدين.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: ٩٣].

المعنى: حتى إذا وصل إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما، وجد من دونهما قومًا لا يكادون يعرفون كلام غيرهم.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

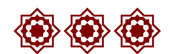
١) قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ لم يحدد في الآية موضع ما بين السدين، وأشهر أقوال المفسرين أنه شمال الأرض.

٢) قوله: ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ يدل على اختلاف لغتهم عن سائر اللغات وندرتها، ويتضح بذلك عدم مخالطتهم للشعوب الأخرى.



٣) استطاع ذو القرنين معرفة قولهم مع كونهم لا يفقهون قولاً، ولعل هذا باستغلال أحد الأسباب التي هيأها الله له كالترجمة وغيرها.

٤) في الآية دلالة على الالتفات للشعوب المستضعفة المعزولة عن الحياة.



قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

المعنى: قالوا يا ذا القرنين: إنَّ يأجوج ومأجوج وهما أمَّتان عظيمتان من بني آدم مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يحول بيننا وبينهم؟

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

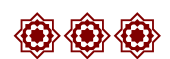
١) قوله: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ يدل على حسن تعامل ذي القرنين مع أهل البلدان الْمُحتلة فبثوا إليه همومهم ومشكلاتهم.

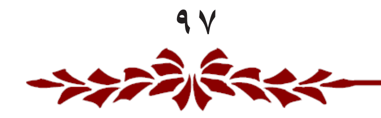
٢) الآية دليل على شدة إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض للحرث والنسل؛ ولهذا أتوا بحرف التأكيد ﴿إِنَّ﴾، وكذلك الاسم الظاهر لهم ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ والنص على إفسادهم ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٣) قوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ يدل على أدب هؤلاء القوم وحسن طلبهم في مقابل ما عند ذي القرنين من حسن السيرة، وهذه أخلاق الفاتحين من المؤمنين المجاهدين.

٤) قوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ سموه خَرْجاً ليشمل سائر أنواع المال مما يرغبه ذو القرنين، وفي تسميته أيضاً بالخرج إلماحٌ بقلته مقارنة بما عند ذي القرنين.

٥) تقديم الظرفية في قوله: ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ يدل على شدة إفساد يأجوج ومأجوج، وهذا كما تقول لما ضاق عليك أمره: باعد بيني وبينه أمداً.





قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٥].

المعنى: قال ذو القرنين: ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خيرٌ لي مِن مالكم، فأعينوني بقوةٍ منكم أجعل بينكم وبينهم سدًا.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ يدل على قوةُ ما أُعطي ذو القرنين من أسباب التمكين ؛ فلفظ التمكين يدل على الإحاطة.

٢) قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ يدل على التحدث بنعم الله وإسنادها له سبحانه.

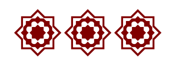
٣) الآية تدل على عظيم خُلُقِ ذي القرنين حيث لم يَسْتَغِل حاجتهم وإنما ردَّ إليهم أموالهم، وهذه أخلاق المجاهدين الصادقين.

٤) رَفْضُ ذي القرنين الخرج يدل على أنه لم يكن ذا طمع ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركـًا لإصلاح أحوال الرعية.

٥) الآية تدل على ذوقٍ رفيعٍ عند ذي القرنين فإنه لم يبادرهم الرفض لِما ذكروه من الخراج وإنما بيّن لهم فضل الله عليه.

٦) قوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ يدل على فقه ذي القرنين حيث طلب الإعانة على البناء لعلمه بأن العمل شاقٌ ولن يستطيعه إلا أهل البلد لعلمهم بضرورته.

٧) الملاحظ أنهم طلبوا سداً فوعدهم بالردم بقوله: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ والردم أوثق من السد وأمتن، ولهذا يكون ذو القرنين أعطاهم فوق مرادهم وهذا هو اللائق بشأن الملك الصالح المجاهد الفاتح.



قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الكهف: ٩٦].

المعنى: أعطوني قطع الحديد حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين، قال للعمال: أجِّجوا النار حتى إذا صار الحديد كله نارًا، قال: أعطوني نحاسًا أُفرغه عليه.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) الآية تدل على الإبداع الذي يتمتع به ذو القرنين في بناء السد ؛ حيث بناه على غير مثال سابق، وهذا من أهم صفات القائد، كما أن فيها بيانـًا لبعض الأسباب التي أُعطيت لذي القرنين.

٢) تقوم فكرة بناء الردم على وضع زُبر الحديد وبينها أكوام الحطب لإيقادها، فلما أُوقدت وأصبح الحديد ناراً صبَّ عليه النحاس فذاب النحاس وحلَّ محلَّ الحطب، فأصبح الردم عبارة عن طاقات أحدها حديد والأخرى نحاس.

٣) قوله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ لأن الحديد أشد قوةً وصلابة.

٤) قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ يدل على قوة أولئك القوة وسرعة إنجازهم.

٥) قوله: ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ الصدفين هما: حافتا الجبلين المتقابلتين ؛ لأن ذي القرنين أراد سدَّ ما بين الجبلين.

٦) قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ يبين شدة النار التي أُوقدت حتى أصبح الحديد ناراً.

٧) لفظ: ﴿ءَاتُونِي﴾ جاء في شأن زُبر الحديد والقِطر بخلاف النفخ في النار فأسنده لغيره بقوله: ﴿ٱنفُخُواْ﴾ ولعل حكمة ذلك أن ذي القرنين تولى أهم ما في بناء السد لكونه يحتاج إلى مهارة.



قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: ٩٧].

المعنى: فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السدِّ لارتفاعه، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وصلابته.



❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية :

١) الآية تدل على أن الردم عالٍ وعريض ؛ ولهذا لم يستطيعوا نقبه أو الظهور عليه.

٢) التفريق بين اللفظين ﴿فَمَا ٱسۡطَـٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ لأنه قابل كلاً بما يناسبه، فلما كان الظهور على السد أيسر من نقبه حُذفت التاء، ولما كان نقب السَّد أصعب أُثبتت التاء لصعوبة الأمر جداً ؛ لأن زيادة المبنى زيادةٌ في المعنى.

٣) بدأت الآية بالظهور ثم النقب تدرجـًا من الأيسر إلى الأشد.



قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾ [الكهف: ٩٨].

الجزء السادس عشر — سورة الكهف

قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ ۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠

المعنى: **قال ذو القرنين:** هذا السدّ الذي بنيته رحمةٌ من ربي بالناس، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدمًا مستويًا بالأرض، وكان وعد ربي حقًّا.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية :

١) الآية تدل على أن ذي القرنين لم يأخذه كبر وبطر في عمله وإنما أسند الفضل لله.

٢) تدل الآية على فضل الله على الناس ورحمته بهم أن حَجَب عن أمم الأرض هذه الأمة المفسدة في الأرض.

٣) في الآية أيضـًا إظهار فضل ذي القرنين على الأمم من بعدِهِ ببناء الردم حاجزاً عن إفساد يأجوج ومأجوج.



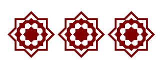
٤) الآية تدل على بقاء أمة يأجوج ومأجوج حتى قيام الساعة.

٥) في الآية أيضًا دلالة على أن محاصرة الفساد وتخفيفه ومنعه من الانتشار كما فعل ذو القرنين بيأجوج ومأجوج.

٦) قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ يدل على إيمان ذي القرنين بالساعة وأشراطها، وهذا مما اتفقت عليه الأديان.

٧) الآية تدل على أن لكل شيءٍ نهاية ينتهي إليها ولا يبقى إلا وجه الله سبحانه.

٨) ذكره الربوبية مرتين في قوله: ﴿رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾ وقوله: ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ يشعر بامتنان ذي القرنين لربه واستشعاره عنايته وفضله عليه.



قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: ٩٩].

المعنى: وتركنا الخلق حينئذٍ – يوم ندك الجبال وننسفها نسفًا – يختلط بعضهم في بعض، ونفخ في القرن للبعث، فجمعنا الخلق جميعًا للحساب والجزاء.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في هؤلاء، فيُحتمل أنهم قوم يأجوج ومأجوج حينما بُني السد أصبح بعضهم يختلط في بعضٍ، ويُحتمل أن المراد بهم الناس يوم القيامة حينما يُدكُ السد وهذا أليق بالسياق.

٢) تقديم ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ لتهويله والاهتمام بشأنه وتعظيمه في النفوس.

٣) قوله: ﴿يَمُوجُ﴾ يدل على اضطراب في أحوالهم وشئونهم وهذا علامة خراب وانعدام العدل والأمان.

٤) قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ يدل على النفخة الأولى التي فيها يصعق الناس.



٥) قوله: ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ﴾ وتأكيده بالمصدر ﴿جَمۡعٗا﴾ يدل على جمع الله للأولين والآخرين ليوم الفصل.

٦) التنكير في قوله: ﴿جَمۡعٗا﴾ للتهويل والتفخيم لشأن الجمع يومئذٍ.



قوله تعالى: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾ [الكهف: ١٠٠].

المعنى: وعرضنا جهنم للكافرين، وأبرزناها لهم لنريهم سوء عاقبتهم.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

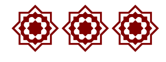
١) قوله: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ﴾ يفيد العذاب النفسي للكافرين قبل دخولها.

٢) لفظ العرض في قوله: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ﴾ يُشعر بالتهكم والسخرية ؛ لأن العرض عادة يختص لما هو مرغوب ومراد.

٣) تقديم ذكر جهنَّم على ذكر يوم القيامة في قوله: ﴿جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ﴾ ليكون أوقع في التخويف، والتنوين في قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ لإفادة التهويل.

٤) قوله: ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ مع أن النار تُعرض لجميع أهل المحشر ؛ لأنها أُعدت لهم وهم أولى بها.

٥) التأكيد في قوله: ﴿عَرۡضًا﴾ لإفادة أنه عرضٌ حقيقي يراه الجميع، والتنوين للتهويل من شأن العرض وأنه مخيف عظيم.



قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ [الكهف: ١٠١].

المعنى: الذين كانت أعينهم في الدنيا في غطاء عن آياتي، وكانوا لا يطيقون سماع ذكر الله.



۞ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) يدل الاسم الموصول وصلته في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ﴾ على أن ما بعده هو سبب عرضهم على جهنَّم؛ وهو أن أعينهم في غطاء عن ذكري فلهذا استحقوا العرض.

٢) ذكر الأعين في قوله: ﴿كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ﴾ للدلالة على كثرة آيات الله وحججه في الكون.

٣) الظرفية في قوله: ﴿فِي غِطَآءٍ﴾ تفيد المبالغة في إعراضهم فكأن أعينهم موضوعة داخل غطاء يغطيها عن رؤية حجج الله في الكون.

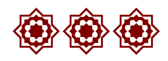
٤) ذكر الغطاء في قوله: ﴿فِي غِطَآءٍ﴾ لإفادة أن المانع لهم من الإيمان هو وجود غطاء متى ما رُفع أبصر الإنسان الحقائق، ففي الآية فتح باب الأمل لهم بالإبصار.

٥) قوله: ﴿ذِكۡرِي﴾ المراد به: حجج الله وبراهينه في الكون؛ وهذا يفيد أن كل ما في الكون يؤدي إلى ذكر الله ومعرفته.

٦) تقديم العين على السمع في الآية لأن ما يدل على معرفة الله أكثر من غيره، كما أن السماع يحتاج إلى تدبر وتفكر بخلاف الإبصار فالرؤية غالباً لا تحتاج إلى ذلك، فقُدِّمت العين لأن الحجة على الناس فيها أكثر من السماع.

٧) نفي الاستطاعة في قوله: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ ينفي أثر السمع النافع، ولهذا فسرها السلف بأنهم: لا يعقلون.

٨) فعل الكينونة في قوله: ﴿وَكَانُواْ﴾ يدل على أن عدم عقلهم لما يسمعونه من الآيات هي صفة لازمة لهم.



قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢﴾ [الكهف: ١٠٢].

المعنى: أفظن الذين كفروا بالله أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء ؟! كلا بل هم لهم أعداء، إنا أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلاً.



❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿أَفَحَسِبَ﴾ استفهام إنكاري لفعلهم الباطل.

٢) لفظ الاتخاذ في قوله: ﴿أَن يَتَّخِذُواْ﴾ يفيد تعلق المشركين بمن عبدوهم من دون الله حتى جعلوهم كالْمتخَذ لهم.

٣) قوله: ﴿عِبَادِى﴾ يدل على أنهم في منزلة العبودية لا يملكون ضراً ولا نفعاً.

٤) ذكر الولاية في قوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ لأن مقام يوم القيامة يحتاج إلى نصرة وولاية لما فيه من الأهوال.

٥) قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يدل على أن اتخاذ الأولياء من دون الله كفرٌ؛ لأن اتخاذهم عبودية لهم من دون الله.

٦) قوله: ﴿إِنَّآ﴾ فيه تأكيد عذاب الكافرين المتخذين الأولياء من دون الله.

٧) قوله: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ فيه تهديد للكافرين؛ لأن الإعداد هو التهيئة للعذاب قبل وصولهم.

٨) قوله: ﴿نُزُلًا﴾ فيه تهكمٌ بالكافرين؛ لأن النُّزُل هو ما يُعد للضيوف، فجمعت الآية الكريمة التهديد وتأكيده والتهكم والسخرية بالكافرين.



قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: ١٠٣].

المعنى: قل أيها الرسول للناس: هل نُخبركم بأخسر الناس أعمالاً؟

❁ ويستفاد من الآيتين الفوائد التالية:

١) ابتداء الآية بالقول ﴿قُلْ﴾ للاهتمام بشأن ما بعد القول وشحذ الهمم للإنصات.

٢) الاستفهام في الآية ﴿هَلْ﴾ للتشويق ولفت الانتباه لما بعده.

٣) قوله: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾ صيغة مبالغة لبيان شدة خسارتهم، فكأنهم لخسارتهم هم أخسر الناس جميعاً.



٤) قوله: ﴿أَعْمَٰلًا﴾ يدل على أنهم خسروا مع أن لديهم أعمالاً؛ مما يدل على أن الأعمال لا بد أن تكون على شرع الله.



قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤].

المعنى: إنهم الذين ضلَّ عملهم في الحياة الدنيا وهم يظنون أنهم محسنون في أعمالهم.

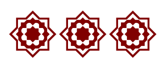
ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هذا فيه إطناب يفيد زيادة التشويق لبيان هؤلاء الأخسرين.

٢) ذكر الضلال في قوله: ﴿ضَلَّ﴾ يفيد ضياع سعيهم لأنه بلا دلالة.

٣) قوله: ﴿سَعْيُهُمْ﴾ يفيد شدة الخسارة لهم ؛ لأن السعي فيه تعب وعمل فاجتمع لهم التعب في الدنيا والعذاب في الآخرة.

٤) قوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ يدل على إعجابهم بعملهم ؛ ولو وُجِدَ في قلوبهم عدم الأمن من مكر الله لما دخل الإعجاب والثقة بالعمل.



قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥].

المعنى: أولئك الأخسرون أعمالا هم الذين جحدوا بآيات ربهم وكذَّبوا بها، فبطلت أعمالهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة قدرًا وثقلاً.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) اسم الإشارة والموصول في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لتخصيصهم وتمييزهم لكي



يعرفوا، وليعلم سبب كونهم الأخسرين.

٢) قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾ ليبين أنهم كفروا بربهم مع وجود الآيات والبراهين الدالة عليه.

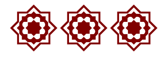
٣) ذكر الربوبية في قوله: ﴿رَبِّهِمۡ﴾ إلزاماً لهم؛ إذ أنهم كفروا به مع أنه ربهم الذي يربيهم بنعمه.

٤) قوله: ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ يدل على أن إنكار البعث كفرٌ بالله.

٥) حبوط الأعمال في قوله: ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ يدل على سرعة حبوط الأعمال حال عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ولو تكاثرت الأعمال ؛ لأن شرط قبولها الإيمان بالله.

٦) قوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ يدل على احتقارهم وإهمالهم ؛ ولهذا جاء النفي ﴿فَلَا﴾ وتنكير لفظ الوزن وتأخيره في قوله: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ .

٧) التفت في الخطاب من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب في قوله: ﴿نُقِيمُ﴾ لإدخال الرعب في قلوبهم.



قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٦].

المعنى : أولئك جزاؤهم نار جهنم بسبب كفرهم بالله واتخاذهم آياته وحجج رسله استهزاءً وسخرية.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية :

١) اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يشمل: حبوط الأعمال، وعدم إقامة الوزن لهم.

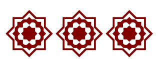
٢) الباء السببية في قوله: ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾ يدل على أن عذاب الله بسبب أعمالهم.

٣) قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ يدل على أن الاستهزاء بآيات الله ورسله كفرٌ بالله.

٤) الجمع في لفظ الرسل: ﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ يدل على أن من كفر وسخر برسول واحد هو كفرٌ بجميع الرسل؛ لأن رسالتهم واحدة.



٥) دلت الآية على أن الاستهزاء بآيات الله ورسله مما تشابهت فيه أمم الكفر؛ لأن الله جعله سبب لكفر الكافرين.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

المعنى: إن الذين آمنوا بي وصدَّقوا رسلي وعملوا الصالحات لهم أعلى الجنة وأفضلها منزلاً.

ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) لما ذكر الله وعيد أهل النار ناسب أن يُتبع ذلك بنعيم أهل الجنان، فبعد النذارة بشارة فجاءت هذه الآية الكريمة على أنسب الأوجه وأكملها.

٢) لم يجرِ في الآية إطناب وتطويل في ذكر أهل الجنة وجزائهم ليناسب سرعة إدخال البشارة بعد الإطالة بذكر أهل النار، وهذا من بديع أسلوب القرآن.

٣) ابتدأت الآية بالتأكيد في قوله: ﴿إِنَّ﴾ لتأكيد شأنهم وجزائهم.

٤) قوله: ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ﴾ يدل على استقرار الجزاء والنعيم فهو مهيأ لهم.

٥) اللام في قوله: ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ﴾ للامتنان والهبة لهم فضلاً من ربهم.

٦) الجمع في قوله: ﴿جَنَّٰتُ﴾ يدل على سعة نعيم الله لهم وعظيم كرمه في تنويع جناتهم وتعددها.

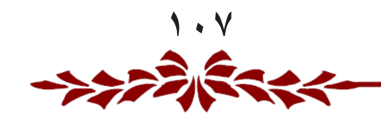
٧) قدَّم ذكر الجنة في قوله: ﴿جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ تحفيزاً للنفوس وزيادة في الترغيب.

٨) قوله: ﴿نُزُلًا﴾ النُزُل هو: ما يعد للأضياف، وعلى هذا فأهل الجنة في مقام الضيوف على ربهم الكريم.



قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٨].

المعنى: خالدين فيها أبدًا لا يريدون عنها تحوُّلاً لرغبتهم فيها وحبهم لها.



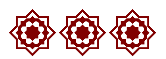
❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قُدِّم ذكر الخلود في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لأن النفس تتطلع لمدة اللبث حال ذكر النعيم العظيم فالموت منغصٌ للنعيم.

٢) قوله: ﴿لَا يَبۡغُونَ﴾ فيه نفي كل إرادةٍ للتحول ؛ وهذا أحد أسرار لفظ الابتغاء.

٣) قوله: ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ يدل على اكتفائهم بما بين أيديهم، وبلوغ نعيمهم اللذة الكاملة؛ فقد جرت العادة أن من جرَّب النعيم طلب نعيماً أكمل منه إلا أهل الجنة لاكتمال نعيمهم.

٤) قُدِّم الجار والمجرور في قوله: ﴿عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ لإفادة رضا أهل الجنة التام فيها حتى أنهم متمسكون فيها.



قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩].

المعنى: قل أيها الرسول: لو كان ماء البحر حبراً للأقلام التي يكتب بها كلام الله، لنفِد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله، ولو جئنا بمثل البحر بحارًا أخرى مددًا له.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) خُتمتُ السورة بذكر كلام الله كما ابتدأت بالحمد لله الذي أنزل كلامه على رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٢) الآية دليل على إثبات الكلام لله سبحانه كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٣) ذكر البحر في قوله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ لبيان عظمة صفة كلام الله، ولأن أكبر ما يُمد به هو البحر لاتساعه وترامیه.

٤) قوله: ﴿مِدَادٗا﴾ هو ما يمد به الداوة من الحبر لكتابة الكلمات.

٥) قوله: ﴿لِّكَلِمَٰتِ﴾ يدل على أن كلام الله متجدد الآحاد؛ لأنه ذكر الكلمات ولم يقل: الكلام؛ فالله يتكلم بما يشاء في الوقت الذي يشاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٦) تكرار ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ لأن المقام مقام تعظيم لها ولبيان سعتها.

٧) قوله: ﴿قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ ليس المراد أن كلمات الله تنفد وإنما هو لبيان عظمتها وسعتها وأنها لو كان البحر حبراً لكتابتها لنفذ البحر وكلمات الله لم تنفذ، ويدل لذلك قوله: ﴿وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾.

٨) الآية تربي المؤمن الثقة بربه إذ كلماته لا تنفد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فسعادة العبد تكون بكلمة من ربه يفلح فيها دنيا وأخرى.

❁❁❁

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ **[الكهف: ١١٠]**.

المعنى: قل أيها الرسول: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ من ربي أنما إلهكم إله واحد، فمَن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه؛ فليعمل عملا صالحًا لربه موافقًا لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحدًا غيره.

❁ ويستفاد من الآية الفوائد التالية:

١) قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ﴾ أسلوب حصر يفيد قصر الصفة على الموصوف؛ فالنبي ليس إلا هو بشرٌ.

٢) قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ يدل على أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا يملك من خصائص الألوهية شيءٌ، وفي هذا ردٌ على كل فرقة زعمت ذلك ومنهم الصوفية.

٣) قوله: ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾ لإفادة تأكيد بشريته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنه لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله.

٤) قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ يفيد أن الرسول مبلغ عن ربه ما يأمره به، وفي ذلك إلماح بالدفاع عن تهمة الافتراء التي يلمزه بها المفترون.



٥) في الآية الكريمة تقرير توحيد الألوهية ونفي كل إله من دون الله من خلال:
الحصر في قوله: ﴿أَنَّمَآ﴾، والاسم الظاهر ﴿إِلَٰهُكُمۡ﴾ فلم يقل: أنما هو إله واحد، وإعادة لفظ الألوهية ﴿إِلَٰهٞ﴾، وختم الآية بالوحدانية ﴿وَٰحِدٞ﴾.

٦) الفعل الماضي في قوله: ﴿كَانَ يَرۡجُواْ﴾ يفيد الاستمرار في رجاء لقاء الله والاستعداد له ؛ ولهذا دخل الفعل الماضي على المضارع.

٧) الرجاء في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾ يدل على الترغيب في لقاء الله، وفيه إشعار برحمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ويؤكد ذلك ذكر الربوبية في هذا المقام ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾

٨) قوله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ يدل على أن التوحيد شرطٌ لقبول العمل ؛ لأنه رتب العمل الصالح على نفي الشرك.

٩) النكرة في قوله: ﴿عَمَلٗا﴾ يدل على فتح باب الأعمال الصالحة للعباد، وتقييده بالصلاح ﴿صَٰلِحٗا﴾ ليفيد العناية بصلاح العمل وإصلاحه.

١٠) نفي الشرك في قوله: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ﴾ فيه التربية على مراجعة المؤمن لإيمانه عن شوائب الشرك، ولعل هذا أحد الحِكم في نفي الشرك دون الأمر بالتوحيد.

١١) في الآية نفي الشرك دقيقه وجليله حيث جاء حرف النهي ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ﴾ ثم الفعل بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار ﴿يُشۡرِكۡ﴾، ثم خُتمت الآية بنفي الشرك بأي أحدٍ كائنًا من كان ﴿أَحَدَۢا﴾ فيدخل في ذلك الأنبياء والملائكة والصالحون.

